شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية

العدد (٤٢) ١٥/٤/٢٠٠٦



- محكمة لأمن الدولة: الأمن يبتلع الإصلاح
- الدولة المضاربة ومؤشر (ابو متعب)
- نوويّون وهابيون: نريدُ قنبلة نووية!
- الملك ونايف: صراع سياسي بمظهر ثقافي
- الملك وخطبة أبريل: ملك التطوير!

نحو حملة دولية لحماية ما تبقى من آثار إسلامية في الحجاز



لماذا توقفت مسيرة الإصلاحيين في السعودية؟

لاءتان سعوديتان: لا للنووي الإيراني، ولا للحرب الأميركية

التطرف الوهابي واعتقال الصحافي رباح القويعي



في هذا العدد

الدولة المُضارِبَة

من سيئات الدول الريعية أنها تتجاوز، في بعض الاحيان، دور جامع المحصول الذي يعيد توزيعه لاحقاً بأشكال عدة على الشعب، معززاً دورها كمراكز تجميع القوة الموزعة بين مجمل الفئات المنضوية داخل مجالات سيادتها. ونقصد بتجاوز هذه الدول، حين تتحول الاخيرة الى أطراف مزاحمة في العملية الاقتصادية المرتبطة بالمجتمع، الأمر الذي يفقد الدولة دورها كراع وضابط وحافظ للمصالح العمومية، بل قد تصبح أحياناً غطاءً لأطراف يمارسون حروب النيابة (بروكسي) في المجالات التي لا تود الظهور فيها بهويتها الحقيقية.

في الدول الريعية تكون الحدود بين ماهو حقوق عامة وحقوق خاصة شبة معدومة أو بصورة أدق متداخلة، تماماً كما هي المهمات الموكلة لكل من الدولة والمجتمع. ويزداد الأمر سوءا في حال انعدام القانون أو عقم فعاليته، حيث تصبح إرادة الاشخاص النافذين متقدّمة على أي ضوابط قانونية. يبدو هذا الأمر جلياً، على سبيل المثال، في تدخّل الملك عبد الله في شهر مارس الماضي في وقف تدهور سوق الاسهم والذي أحدث تغييراً عكسياً لصالح صغار المستثمرين الذين تصل محافظهم الى ثلاثة ملايين محفظة، ويمثّلون نحو ثمانية ملايين فرداً.

وبالرغم من أن مبادرة الملك عبد الله بالتدخل لصالح المتضررين قد أنعش آمال شريحة واسعة من المضاربين الذين دخلوا في مغامرة خطرة داخل سوق غير محكوم لضوابط اقتصادية وقانونية، الا أنه أثبت، من جهة أخرى، العلاقة العضوية بين السوق كجزء من العملية الاقتصادية العامة والدولة، وفي ذلك دليل على إرتهان المجتمع للدولة.

في دول عديدة من العالم لا تتدخل الحكومة في سوق الاسهم الا من أجل تطبيق القانون في حال وجود عمليات تحايل وتلاعب في السوق بطريقة تنذر بكارثة إقتصادية تصيب قطاعاً كبيراً من المضاربين. على الضد في الدول الريعية والخليجية بخاصة، فإن الدولة باتت طرفاً في عملية المضاربة اليومية ليس من خلال امتلاكها حصص الاسد في الشركات الكبرى المهيمنة على حركة المؤشر فحسب، ولكن أيضاً من خلال النافذين الكبار في السوق والذين يمسكون بمناصب كبرى في السلطة، وهذا بدوره يهدم مصداقية الدولة بوصفها أداة لدرء المفاسد، بل قد تتحول هي، بهذه الطريقة، الى جزء من عملية الفساد والافساد من خلال إنغماسها المباشر عبر رجال السلطة أو غير المباشر عبر وكلاء عنهم في عمليات ملتبسة داخل السوق.

لا ريب أن إجتذاب قطاع واسع الى سوق المضاربات اليومية سهّل على السلطة تأكيد هيمنتها عليه وفصله عن الانشغالات السياسية والثقافية، ولكن هذه الهيمنة تنطوي على مخاطر مدركة لدى السلطة، حيث أن مغنطة السوق وحدها الكفيلة ببقاء هيمنة السلطة.

لقد بدا واضحاً خلال العامين الماضيين، أن العائلة المالكة متمسّكة بعقيدة رعوية لا ترى في غيرها خياراً يمكن أن يبقي على تماسك ووحدة سلطتها، وبالتالي فإن العامل الاقتصادي وحده الآن مصدر الاستقرار الوحيد، بل يمكن الزعم بأن هذا العامل أصبح الآن المصدر الاساسي لمشروعيتها، بعد أن تآكلت الايديولوجية الدينية المشرعنة لها. وبالتالي فإن الرهان الرئيسي قائم على أساس ربط مصالح الافراد وجوداً وعدماً ببقاء الدولة، الامر الذي يملي على الاخيرة توفير أوضاع إقتصادية مؤاتية لتمتين الرابطة بين المجتمع والسلطة.

ولكن العقيدة الرعوية لا تحتفظ بالضرورة بقسط وافر من النزاهة، فشراهة المتنفذين الكبار تجنح الى اقتطاع حصة كبيرة من الرأسمال الرعوي الذي تضخّه الدولة في السوق، عبر تمويل مشاريع استثمارية، والتي من شأنها زيادة وتيرة الحركة الاقتصادية المنعكسة إيجابياً على أداء سوق الاسهم. ليس أخطر من ذلك، لعبة التجاذبات لجهة ترجيح مناقصات معينة بهدف إرسائها على أطراف وثيقة الصلة بالمتنفذين الكبار.

كشفت تقارير نشرت مؤخراً عن حجم حصة الدولة في الشركات والبنوك الكبرى المدرجة على قائمة سوق المضاربات اليومية، بما يخبر بوضوح عن هيمنة الدولة على السوق. لقد أوحت ضخامة حصة الدولة الى غالبية صغار المستثمرين بأن مفاتيح السوق وأقفالها باتت بيد الدولة، وأن ما يصيب السوق من إنهيارات يقع على عاتق الدولة، بما يضع الاخيرة امام تحديات خطيرة، ولا مهرب أمامها سوى مواجهتها أو الاصطدام مع القطاع الأكبر من المتضررين الذين قد يخرجون من السوق لا يلوون على شيء من حطامها، فحينئذ تتهيأ ظروف المصادمة الكبرى بين الدولة والمجتمع.

تكتنف مضاربة الدولة مخاطر جمّة، وإن بدت في المرحلة الراهنة المستفيد الأكبر بفعل الانفراج الاقتصادي المرتبط بارتفاع أسعار النفط، في غياب قاعدة إقتصادية صلبة تقوم على إستراتيجية تنويع مصادر الدخل، ومشاريع إنتاجية أساسية، يكون سوق الاسهم عاكساً حقيقياً وأميناً لها.

المشهد السائد الآن يخبر عن أن السعودية هي بمثابة سوق مضاربات ضخمة، نهبت إهتمامات الافراد والجماعات وكادت تستوعب مؤسسات الدولة بكالمها، دع عنك الانعكاسات الخطيرة التي أحدثها الانثيال الجماعي على السوق في المستويات الاجتماعية والنفسية والثقافية والاقتصادية. التفكك الاسري، انخفاض المعدل الانتاجي للفرد، تردي أداء المؤسسات العامة، التسيّب في الاعمال، وهدر الوقت والجهد..هذه وغيرها من الآثار الجانبية والخطيرة لانقطاع عدد كبير من الافراد عن دورة الحياة المنتظمة والمستقرة، بفعل الانحباس التام داخل دوامة السوق.

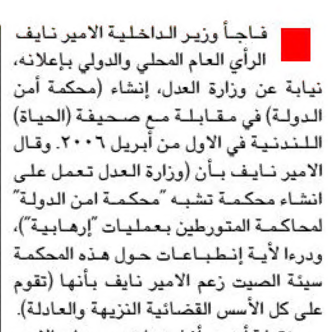
تتحمل الدولة دون أدنى ريب تبعات ما سينجم من عواقب الافراط في تشجيع عمليات المضاربة اليومية كمصدر دخل شديد الجاذبية والسرعة لشريحة كبيرة من المجتمع على حساب العملية التنموية والانتاجية الشاملة التي من شأنها إستثمار الحجم الكبير من الرساميل المتداولة في سوق الاسهم في مشاريع إنتاجية، بدلاً من تحويل الافراد الى مضاربين في دولة مضاربة.

نايف يعلن عن (محكمة أمن الدولة)

الأمن يبتلع الاصلاح



نايف والمفتي: الاستبداد الديني والسياسي المزدوج



فاجأ وزير الداخلية الامير نايف الرأي العام المحلي والدولي بإعلانه، نيابة عن وزارة العدل، إنشاء (محكمة أمن الدولة) في مقابلة مع صحيفة (الحياة) اللندنية في الاول من أبريل ٢٠٠٦. وقال الامير نايف بأن (وزارة العدل تعمل على انشاء محكمة تشبه "محكمة امن الدولة" لمحاكمة المتورطين بعمليات "إرهابية")، ودرءا لأية إنطباعات حول هذه المحكمة سيئة الصيت زعم الامير نايف بأنها (تقوم على كل الأسس القضائية النزيهة والعادلة).

نقطة أخرى أثارتها تصريحات الامير نايف في المقابلة مع الصحيفة، وهي إعادة تأكيده على أن خطر الارهاب سيبقى قائماً (طالما هناك من يغذيه في الخارج، ويسعى إلى استغلال بعض أصحاب النفوس الضعيفة في الداخل بجهل منهم)، في محاولة مكرورة لجهة دفع تهمة ضلوع الداخل في تشجيع التطرف وتغذية الارهاب، وتسجيل التهمة ضد مجهول خارجي حيث قال (في العالم لا نستطيع أن نحدد لكن..لابد أن هناك جهات.. وفي المملكة لابد أن هناك أناسا ضعاف نفوس ليس لهم ولاء لله قبل كل شيء ولا لهذا الوطن ولذلك قد يساعدونهم بمال أو توجيه)، وإن كان الامير نايف خفف لهجته بخصوص الدور التام والوحيد للخارج، وقال (إن السلطات قبضت أخيراً على عدد ممن يدعمون الارهابيين ويساندونهم من خلال جمع الاموال لهم إضافة الى من يغذونهم بالافكار المسمومة الضالة ضد البلاد وأهلها).

نحن، إذن، أمام سابقة خطيرة قد تؤسس لأوضاع أمنية حالكة، تمهّد لاطالة ذراع وزارة الداخلية في الحياة العامة، وتفتح أفق التوتر على مديات بعيدة، وكأن الخيار الامني في التعاطي مع القضايا المحلية بات محسوماً.

وفيما بدأت دول مجاورة (البحرين وقطر) مشروعها الاصلاحي بالغاء محاكم أمن الدولة كمؤشر على نوايا صادقة في البدء بمرحلة تسودها الشفافية والعدل، تلجأ وزارة الداخلية الى ذات المؤسسة سيئة الصيت التي تنطوي على نذير شؤم ويطيح بأية مزاعم في الاصلاح والشفافية والعدالة.

لقد إختار وزير الداخلية موضوع الارهاب كتدبير حمائي لاضفاء مشروعية على إنشاء محكمة أمن الدولة، بما يجعل إنتقادها أو الاعتراض عليها من قبل الحكومات الغربية الديمقراطية التي تطالب بمزيد من الاجراءات الصارمة في الحرب على الارهاب ممنوعاً، بما يجعل تشكيل هذا النوع من المحاكم جزءا من تلك الاجراءات المسموح بها على غرار التشريعات التي يسنّها عدد من الحكومات الغربية في مجال محاربة الارهاب وإن أدّى الى تآكل مجال الحريات العامة.

الاختباء خلف تشريعات الحرب على

> **الاعلان عن محكمة أمن الدولة سيئة الصيت ينطوي على نذير شؤم ويطيح بأية مزاعم في الاصلاح والشفافية والعدل**

الارهاب باتت مقبولة دولياً، وهذا يمثّل بداية حرب على الديمقراطية، في غياب ضوابط صارمة على تشريعات تسوّغ تشديد قبضة الدولة واتساع رقعة هيمنتها في المجال العام، وأن التساهل من قبل المؤسسات الحقوقية الدولية إزاء المزيد من التشريعات فضلاً عن وضعها حيز التنفيذ يعتبر تشجيعاً ضمنياً على الاستعمال المفرط لقوانين تتجاوز مقاصدها الحقيقية. إن توحيد الجبهة العالمية ضد الارهاب الدولي بأشكالها المتعددة لا يتم من خلال فرض حزمة تدابير أمنية صارمة تؤدي في نهاية المطاف الى الحاق أضرار فادحة بالحريات والمصالح العامة، مع الاجماع الصلب على ضرورة قطع دابر الارهاب ومنابعه الفكرية والمالية.

في المقام الاول لتحليل إعلان الامير نايف عن اعلان محكمة أمن الدولة أن دور لجنة المناصحة التي شكّلتها وزارة الداخلية والمؤلفة من رجال دين وأمن تابعين للوزارة أخفق في إحتواء خطر جماعات العنف، بالرغم من إعلان أعضاء اللجنة بأن ما يربو عن ٨٠ بالمئة من أفراد تلك الجماعات قد تم تبديل قناعاتهم وأفكارهم الدافعة نحو التطرف، وأن من تبقى في السجن لا يتجاوز قلة من القيادات التابعة لتلك الجماعات، فيما تم الافراج عن عدد كبير من اعضاء التنظيمات المسلّحة وجرى إدماجهم في المجتمع بعد دورات تأهيلية أشرفت عليها وزارة الداخلية بالتعاون مع عدد من المشايخ السلفيين، حيث خضع هؤلاء الاعضاء للاختبار للتأكد من تخليهم عن أفكار متطرفة تشجّع على العنف، وتم منحهم معونات مالية وتزويجهم وتوفير وظائف مناسبة لهم لتحقيق شروط الاستقرار النفسي والاجتماعي والاقتصادي. يبدو أن هذه اللجنة، بحسب فحوى إعلان إنشاء محكمة أمن الدولة، قد أخفقت في تحقيق المهمة الموكلة اليها. وقد يعترض البعض على أن دور اللجنة لا يتعارض مع اعلان انشاء محكمة أمن الدولة، وهو إعتراض مشروع فيما لو كنا نتحدث عن قضيتين منفصلتين، فالانطباعات التي خلّفتها تصريحات أعضاء لجنة المناصحة تفيد بأن قطع دابر الارهاب بات وشيكاً، وما تبقى منه لا يشكّل تهديداً يستحق اهتماماً بالغاً، فضلاً عن أن التعامل مع الجماعات الارهابية لا يتطلب محكمة أمن دولة، باعتبار أن ثمة تسامحاً داخلياً ودولياً إزاء الاجراءات القانونية والاحكام القضائية الصادرة في حق المتورطين في عمليات إرهابية.. بمعنى آخر، أن هامش الاستثناءات واسع بدرجة كافية ويسمح بإصدار أقصى العقوبات ضد العناصر الضالعة في عمليات العنف ضد المصالح العامة، بما لا يتطلب الاختباء خلف مؤسسة

قضائية ذات طابع أمني.

في المقابل، وفي المقام الآخر للتحيل، هناك من يرى بأن إنشاء محكمة أمن الدولة، يتجاوز موضوع الارهاب ويؤسس لسياسة أمنية جديدة في الداخل بما يجعل إختصاصات محكمة أمن الدولة مفتوحة ومطلقة في التعامل مع كافة القضايا التي تندرج في سياق (أمن الدولة)، بما يدخل طائفة واسعة من الفاعلين السياسيين ودعاة الاصلاح ونشطاء حقوق الانسان ضمن مجال إختصاص المحكمة، طالما أن في مناشط هؤلاء ما يعترض أو يشير الى ارتباطه بصورة أو أخرى بأمن الدولة.

يجدر الالتفات الى أن محاكم أمن الدولة، بالنظر الى تجارب الدول التي إعتمدتها (الكويت والبحرين ومصر)، لا تخضع للنظام القضائي، وتتميز بالسرّية والصلاحيات المطلقة، وتبرر ذلك بكونها متعلقة بأمن الدولة، وفي الغالب فإن الاحكام الصادرة عنها لا تخضع للاجراءات القانونية الروتينية من مراجعة وطعن واستئناف، فأحكامها في الغالب قطعية وغير قابلة للرد، وتكون مرتبطة بوزير الداخلية ورئيس الدولة بصورة مباشرة، وحتى القضاة العاملون في المحكمة يمتثلون من الناحية العملية وليس القانونية بأوامر وزارة الداخلية.

قد يبدو مستغرباً بعض الشيء وربما كثيراً، أن يبادر الامير نايف نيابة عن وزارة العدل بالإعلان عن إنشاء هذه المحكمة، في عملية مصادرة مألوفة لحق هذه الوزارة، شأن وزارات اخرى عديدة، في الاعلان عن مثل هذه المحكمة، ولكن يختفي وجه الغرابة في بلد كالسعودية حيث تتمدد صلاحية الأمراء الى حقول عدة واقعة خارج مجال إختصاصهم. بل إن اعلان الامير نايف يخبر عن طبيعة المحكمة ودورها أيضاً، مهما بلغ مستوى التطمين المزعوم في تصريحاته، حيث أن مثل هذا التطمين يلفت الى حجم الهواجس التي يثيرها الاعلان عن محكمة أمن الدولة، وإن مجرد زعمه بخضوع الاخيرة للقوانين القضائية النزيهة والعادلة لا يغير من الهواجس شيئاً، فما يرد من إنتقادات واسعة ضد النظام القضائي السعودي ينسحب بنفس الدرجة بل أشد منها على التشريعات الناظمة لسير عمل محكمة أمن الدولة.

مهما يكن، فإن اعلان الامير نايف عن هذه المحكمة بمثابة رسالة خطيرة الى الداخل ويدق إسفيناً في مشروع الاصلاح الذي يبدو أن الملك عبد الله قد حسم قرار التخلي عنه بصورة نهائية، وقد نشهد في المرحلة المقبلة دوراً لمحكمة أمن الدولة تطال أفراداً من خارج الجماعات الارهابية تحت مسمى التعريض بالامن الوطني والوحدة الوطنية، فذمّة الامن تنبسط على كامل تراب الدولة وتسع بحجم إتساع ذمتها.

يملي هذا التطور الخطير على دعاة الاصلاح و(التطوير!!) الجأر بصوت مرتفع قبل أن ترى محكمة أمن الدولة الظلام وليس النور، كونها ستعمل بصورة سريّة، وستقترف أبشع المخالفات القانونية تحت مسمى الحرب على الارهاب وأمن الدولة كمتصاهرين غير شرعيين. إن بدء هذه المحكمة سيمنح المؤسسة الامنية التي يقودها وزير الداخلية ذراعاً طويلة ومطلقة في بدء محاكمات سريّة تنتهي الى عقوبات غاشمة وقاطعة.

في حقيقة الأمر، أن هذا الاعلان يتناقض كلياً مع الوعد الذي قطعه الملك على نفسه في خطاب العرش حين أعلن عن برنامجه السياسي بإقامة العدل وتحقيق الانصاف، أو ما أعلن عنه مستشاره خليل الخليل بأن السعودية في عهد الملك عبد الله ستشهد دولة القانون. إن إنشاء محكمة أمن دولة في السعودية هو بمثابة تأسيس لشرعة الفوضى القانونية، وأن ظل القانون الغائب سينحسر عن جدران هذا النوع من المحاكم التي أخبرتنا نظيراتها بأنها تفتقر الى رائحة قبل روح القانون.

إنشاء محكمة أمن الدولة، يتجاوز موضوع الارهاب ويؤسس لسياسة أمنية جديدة في الداخل مصممة لتقويض الاصلاح

في تجارب ضحايا محاكم أمن الدولة في البحرين والكويت ومصر وغيرها علم مستحدث، فقد مثلت تلك المحاكم تجسيدات للقمع بكافة أشكاله، والظلم بكافه صوره، وأن أكثر من وقع في قبضتها لم يخرج الا الى المقصلة أو الزنزانة الضيقة، ففي داخلها يقف المتهمون فرادى لا تمثيل قانوني لهم، ولا يتمتعون بأدنى حقوق الانسان المعترف بها في المعاهدات الدولية، وليس أمامهم سوى خيار واحد وهو الاعتراف بالجرم الذي قد لم يرتكبوه أو إرتكبوا أدنى منه بكثير فأملت عليهم المحكمة الاعتراف بجرمهم وجرم من لحق بهم من الاولين والآخرين.

هذه المحكمة تعتبر أقصى أشكال الخروج على القانون، حتى لا نغفل عن الاقترافات المتكررة للقانون من قبل المؤسسة القضائية ممثلة في المحاكم التابعة لها. وأخطر من ذلك، أن المحكمة تمثّل نوع من التواطىء شبه العلني بين جهازي القضاء والامن، وهما المؤسستان اللتان بقيتا في دائرة تهمة التواطىء منذ زمن بعيد، فكثير ما سقط العدل تحت حذاء الأمن، وصدرت أحكام من الجهاز القضائي تحت تأثير إملاء أمني. إن تطوّع الامير نايف بالاعلان عن إنشاء محكمة أمن الدولة بالنيابة عن وزير العدل ليس إجراءاً اعتباطياً، وإن بدا مستنكراً في دول القانون، فهو يؤكد على أن هذه المحكمة ستكون تحت إشراف وسيطرة وزارة الداخلية وإن بدت في ظاهرها جزءاً من وزارة العدل. وهنا ندرك خطورة ما تعني إنطواء مؤسسة قضائية تحت رداء الجهاز الامني، حيث ستكون الاحكام الامنية ممهورة بختم وزارة العدل! وستكسو التدابير الامنية مسحة قضائية، وفي ذلك إبراءً لذمة وزارة الداخلية التي ستلوذ على الدوام بالحجج السخيفة في إرجاع الاحكام الى مصادرها الظاهرية، وأنها مجرد أداة تنفيذية للاحكام القضائية.

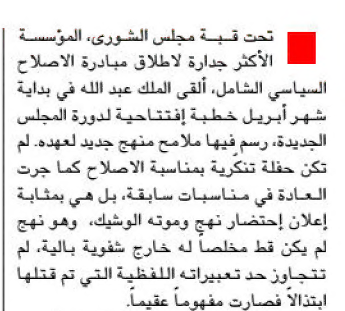
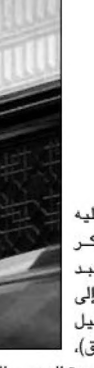
في سياق هذا التطور الخطير، من المتوقع أن تشهد الفترة القادمة تجاذبات حادة في ظل تداخل الصلاحيات وفورة حقوق الانسان التي تشهد نمواً مضطرداً على الساحة الداخلية، وفي الوقت نفسه المزاعم المتزايدة في تطبيق القانون، وتقليص صلاحيات الامراء الكبار الذين باتوا يمارسون سلطات مطلقة تفوق أحياناً صلاحيات الملك نفسه.

يجدر بجميع النشاطين الحقوقيين ودعاة الاصلاح أن ينظروا بعين الريبة الى تصريحات الامير نايف حول انشاء محكمة أمن الدولة، لأن تمرير هذه القضية بسلام تحت مسمى محاكمة المتهمين بأعمال إرهابية ستفتح باب جهنم على مجمل القوى السياسية الوطنية الطامحة الى الاصلاح والتغيير، وستكون في يوم ما ضحية لهذه المحكمة التي ستعمل في الظلام وخارج سلطة القانون، على ضعفه وابتذاله.

ثمة مسؤولية أخلاقية وحقوقية تقع على الدول الغربية التي مازالت تواصل ضغوطها على الدولة السعودية من أجل إتخاذ المزيد من التدابير القانونية والعملية لملاحقة وبتر خطوط الارهاب في الداخل والخارج، أن تدرك بأن ضغوطها قد تمنح السلطات الامنية السعودية مشروعية لسنّ تشريعات ذات طبيعة انتقائية ومجتزئة تؤول الى الاضرار بالحريات العامة، وإستعمال موضوع الارهاب مشجباً لملاحقة كافة الاشخاص الذين يتم تصنيفهم ضمن موضوع الاخلال بالامن الوطني وتهديد الوحدة الداخلية أو المساس بأمن الدولة كمرادفات لموضوع الارهاب.

تتويج عبد الله في خطبة أبريل

ملك (التطوير)!!

ملك التطوير في مجلس الشورى!

تحت قبة مجلس الشورى، المؤسسة الأكثر جدارة لاطلاق مبادرة الاصلاح السياسي الشامل، ألقى الملك عبد الله في بداية شهر أبريل خطبة إفتتاحية لدورة المجلس الجديدة، رسم فيها ملامح منهج جديد لعهده. لم تكن حفلة تنكرية بمناسبة الاصلاح كما جرت العادة في مناسبات سابقة، بل هي بمثابة إعلان إحتضار نهج وموته الوشيك، وهو نهج لم يكن قط مخلصاً له خارج شفوية بالية، لم تتجاوز حد تعبيراته اللفظية التي تم قتلها ابتذالاً فصارت مفهوماً عقيماً.

كرر الملك في كلمته لفظة (التطوير) عدة مرات تنبيهاً الى إستبداله كلمة (الاصلاح)، بل يلحظ المدقق في سياق الكلمة أن لفظة تطوير جاءت في بعض الاحيان ناشزة وفاقدة للمعنى الافتراضي. فقد أثنى الملك على أعضاء مجلس الشورى كونهم حسب وصفه (خير معين على التطوير)، ووعد بمنح بعض المناطق إهتماماً أكبر كونها (لم تحصل على حقها في التطوير)، كما وعد باللحاق بركب العالم المتقدم وكسر الجمود من خلال الاستمرار (في عملية التطوير).

إذن هو التطوير وليس الاصلاح، الكلمة ـ الوافد الجديد في اللهجة الرسمية التي سيعتصم بها الملك عبد الله طيلة عهده، وتعني بناءً على البناء أو ترميماً لبناء هرم، مع الحفاظ على الأسس، هكذا هو المعنى الذي يريد صانع المصطلح الامير نايف، درءا لشبهة الوقوع في الفساد، لا سمح الله ولا حول ولا قوة الا بالله!

مات الاصلاح نطفة قبل أن يصبح جنيناً، وانهار مثل جبل جليد من الوهم على رأس صاحبه، واستبدل جلدة لم تكن تليق به، وليته لم يفعل كل ذلك قبل أن يختبر قدرته على حمل أمانة الاصلاح. في خطاب ليس فيه من سمات خطاب العرش، ولا ميزات الخطب السياسية التي ترسم الخطوط العريضة لسياسات الدولة أو تحدد إستراتيجيات العمل الحكومي خلال مرحلة آتية، وإنما مجرد عناوين عامة سمعناها إسماً ولم نر لها رسماً، هكذا هي كلمات من سبقه ومن سيلحق به من الخلف الحالي، ما لم يقدّر الله أمراً ولا راد لقضائه.

الخطاب القصير الذي ألقاه الملك بعناء لغوي شديد، في محضر أعضاء مجلس الشورى الذي يضم نخبة من الاكاديميين والخبراء ورجال الدين خلال مراسم افتتاح الدورة الرابعة للمجلس، أسبغ عليه طابعاً قومياً يذّكر بخطابات الزعيم عبد الناصر، فقد دعا الملك إلى أن (يخرج العرب من ليل الفرقة إلى صباح الوفاق)، متأبّطاً مشروع أمل بعودة العرب والمسلمين لتسنّم منصبهم التاريخي باعتبارهم (قادة للحضارة).

ولكنّ خارج الوهج الخطابي، ليس في كلمة الملك ما يجعلها مثيرة للاهتمام العالمي، بإستثناء أولئك الذين يبحثون عن مسوغات لعلاقاتهم مع حكومات شمولية في الشرق الاوسط، فقد دبّج معدّ (و) كلمة الملك السنوية في إفتتاح دورة مجلس الشورى كلمات من العيار الثقيل، بهدف الإلهاء عن المغيّب الذي كان حاضراً بسطوة في خطاب الملك عبد الله خلال الخمس سنوات الاخيرة، هذا المغيّب الذي

مات الإصلاح نطفة قبل أن يصبح جنيناً، وانهار مثل جبل جليد من الوهم على رأس صاحبه، واستبدل جلدة لم تكن في الأصل تليق به

صنع منه جنيناً كاريزمياً ما لبث ان مات قبل أن يرى النور. قال وعظيم مقولات الساسة حين تهب الريح وتحصد العاصفة (إننا لا نستطيع أن نبقى جامدين والعالم من حولنا يتغير). حسن هذا الوصف للتعبير عن رؤية كونية للعالم، فالجمود كان سمتاً حاكمة على مفاصل السلطة، مقابل إيقاع جلوبالي متسارع. لا ينكر أحد فضيلة اقرار الملك بالجمود، ولكن الجمود هنا يراد إحلاله موضع الفساد ليستقيم الحديث عن تطوير مقابل إصلاح.

يلزم القول حقاً أن الامير نايف سجّل نقطة على الملك عبد الله، حين نجح في إزالة لفظة (إصلاح) من خطابه السياسي ليثبّت مكانها كلمة (تطوير)، لقد نجح الامير نايف في مسعاه وأخفق الملك، الذي إستبدل معجميته السياسية وخلع عن كاهله مسؤوليته الاصلاحية!. نزعم بأن الملك خضع هذه المرة تحت تأثير التفسير الكلاسيكي لمفهوم الاصلاح، بإستبطاناته الجدلية، وكما أخبرنا الامير نايف ووزير عدله في تصريحات ومقالات سابقة بأن الاصلاح يأتي كعلاج لفساد حاصل، ويستحيل زعماً ان يقع الفساد في دولة آل سعود القائمة على العدل والحرية والمساواة والشفافية والمحاسبة! كبر مقتاً عند الضمير الوطني والديني أن يقول الأمير ما يعلم القاصي والداني وقوعه.. الامير نايف من الشخصيات التي تعيش زمناً غابراً وتتمسك بعناد بأن لا أحد يرى سوءة الدولة، كتلك التي تدسّ رأسها في التراب وعورتها بادية للعيان.

نعم، أخلى الملك عبد الله ساحة الاصلاح، ولبس رداءً هجيناً، وأدخل مفردة الى قاموس الفكر السياسي الحديث بإضافة كلمة (تطوير) التي لم تبنَ دلالاتها حتى اللحظة، ما لم نستعير المعاني التي إرتبطت بها أو بمترادفاتها مثل الترقي، والتقدم، والتنمية، ولا نظن بأن العبقرية السعودية الحاكمة إستمدت بعض موحيات نظرية داروين لتكون أساساً لانطلاقة جديدة للدولة.

في واقع الأمر، أن اختفاء كلمة (إصلاح) من خطاب الملك عبد الله يلمح ليس الى عزم على التغيير، بل يشير بقوة الى التأثيرات الشديدة لدى الامراء الكبار (سلطان، ونايف، وسلمان) على الملك عبد الله، ولا نظن أن كلمة (إصلاح) إختفت من تلقاء نفسها بعد أن عثر الملك على كلمة أبلغ في القول، وأصدق في التعبير، وأوثق في الالزام. لا ليس من ذلك كله، وإنما هو إصرار الأمراء على أن دولتهم قائمة (على شرع الله) والحاكم (أخو من طاع الله) بحسب القوالب اللفظية النجدية الكلاسيكية، وبالتالي فكل منافذ الدولة محصّنة أمام الفساد. يريدوننا تصديق كذبة أبريل، وكل أيام الدولة إبريل..

كيف يمكن لنا تصديق نوايا العائلة المالكة التي ينضمّ الى ركابها كل الامراء بما فيهم

الملك، لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن لا نزال متسمّرين عند العتبة الاولى، فبعد أن برز علينا ولأول مرة ملك يعترف بوجود أشكال فساد متنوعة في كيان الدولة، إدارية ومالية وقضائية وغيرها، عاد وسحب ملف القضية ليضع الفساد في إطاره الضيق المتصل بالعمل البيروقراطي للدولة.

سنحمل، مع التحفظ، بعض ماجاء في كلمة الملك على خير محمل ومنها الفقرة التالية: سوف نستمر باذن الله في عملية التطوير وتعميق الحوار الوطني وتحرير الاقتصاد ومحاربة الفساد والقضاء على الروتين الاداري ورفع كفاءة العمل الحكومي والاستعانة بجهود المخلصين العاملين من رجال ونساء.

وحتى لا ينصُبُ المنكوبون أشرعة الأمل بقرب وصول مؤونة الاغاثة، فقد رمى أجندة (التطويرات) في بحرٍ لجي وفي غياهب الزمن المقتول جهلاً وتجهيلاً. فقد أعاد الملك، كممثل عن العائلة المالكة وليس الشعب، تشريط التطور زمانياً معتلياً صهوة المجتمع كيما يفتعل تمثيل نواياه وأحلامه، حين أكّد على أن أجندة التطوير ستكون (في اطار التدرج المعتدل المتماشي مع رغبات المجتمع والمنسجم مع الشريعة الاسلامية). ندرك من تجربة التدرج بنسختها السعودية، أنها قد تمتد الى عقد أو عقدين وربما عقود للامام أو للخلف لافرق، كما حصل في المجلس البلدي الذي كان منتخباً في الخمسينيات ثم أصبح نصف مشلول في إختيار عضويته ومشلولاً بالكامل في وظيفته الحالية، وكما يحصل الآن في اعلان الامير نايف عن إنشاء محكمة أمن الدولة، التي صارت تاريخاً في دول الجوار، بعد أن تحوّلت الى رمز للظلم والقمع.

ليس هناك ما يجلب التفاؤل في التدرج بالمعنى السعودي الرسمي، فكيف إذا ما أضيف له المعتدل، وكأن التدرج حالة صدفية أو فورية، فالتدرّج بطبعه معتدلاً، ولو أن معد البيان استبدل المعتدل بالمتوازن لكان أصح في القول. أما ربط هذا التدرج المعتدل برغبات المجتمع فتلك فلتة وقى الله الوطن شرّها، وكأن الملك لم يبلغه خبر العرائض التي وصلته من كل أطياف المجتمع الذي يتحدث عنه، كيف وقد كانت جميعها موجّهة اليه وهو الذي تزاحمت على قصرة ركاب الاصلاحيين، كل يقول بأنه وحده في العائلة المالكة الذي فيه خير لمجتمعه ووطنه، وهل دخل الاصلاحيون السجن الا من وراء عرائض رفضوا فيها نهجاً تدرجياً يصل حد العطب.

لم يأت الملك بجديد في السياستين الخارجية والداخلية، ففي الاولى تأكيد على عضوية السعودية في الاسرة الدولية وفي الثانية تأكيد على نهج مكافحة الارهاب، كما هو شأن السياسة البترول التي حملت تطميناً إضافياً للاسواق العالمية بالتأكيد على حمايتها من الهزّات.. هذه المجالات ذات الطابع السيادي كانت أولى بالاستفاضة في كلمة الملك، كونها أركاناً أساسية في تغيير وجه الدولة، خصوصاً مع التبدلات السياسية الكبرى التي جرت بعد الحرب الباردة وبعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر، وكذا التحولات الداخلية التي تطلبت معالجات جوهرية ليس ملف العنف وحده المهيمن عليها.

في عالم المبادىء، إستعاد الملك في نهجه التطويري القوالب اللفظية الجاهزة بقوله (إن منهجنا الإسلامي يفرض علينا نشر العدل بين الناس.. وأن نعطي كل ذي حق حقه.. فالناس سواسية. إن ديننا الإسلامي يعلمنا أن المسلمين أخوة وسنسعى لنزيد هذه الروابط). وتخصيصاً لهذه المبادىء العامة يعد الملك بقوله: (سنحرص على مكافحة الفقر والتركيز على المناطق التي لم تحصل على حقها من التطور. لا نريد أن نكون جامدين فيما العالم من حولنا يتغير). ثمة ما يلفت هنا أن كلمة (التطوّر) باتت تستعمل لأغراض متعددة، وقد حلّت مكان مفاهيم عدة، فهي مقابل مفهومي للاصلاح والتنمية. ومع ذلك، فإن هذه الفقرة تمثّل أهم جزء في كلمة الملك، كونها تنطوي على إعتراف غير مباشر بالتمييز واختلال التوازن في عملية التنمية خلال برامج التحديث التي بدأت منذ عام ١٩٧٠.

سجّل الامير نايف نقطة على الملك عبد الله، حين نجح في إزالة كلمة (إصلاح) من خطابه السياسي ليثبّت مكانها كلمة (تطوير)

والسؤال المطروح هنا: أليست سياسات التمييز بين المناطق في عملية التنمية دليل على وجود فساد تسبب في وقوع ذلك، تماماً كما هي الفوارق المعيشية بين فئات المجتمع. أليس من الفساد بلوغ ثروة الملك فهد ٧٠٠ مليار ريال بما يربو عن الدين العام للدولة، وهو نفس العهد الذي بلغت فيه نسبة البطالة نحو ٣٢ بالمئة. صحيح أن الملك عبد الله، وللانصاف، لم يعرف عنه الثراء الفاحش، ولم يتورط في فساد مالي داخلي وخارجي،



وملك تطوير القمع كان حاضراً!

بالطريقة التي أفرط فيها أخوته السديريون وبخاصة الاميرين سلطان ونايف، وصحيح أيضاً فرضه إجراءات صارمة بغرض تقليص المخصصات المالية للأمراء، ولكن أليس مكافحة الفقر يقتضي تشخيصاً لواقع فاسد يدرك أغلب الناس المتورطين فيه.

على أية حال، يقترب الملك عبد الله في هذا المقطع من كلمته من نقطة مشتركة مع عرائض الاصلاح التي بدأت تصله تباعاً منذ يناير ٢٠٠٣، ونفترض أن ليس هناك ما يمنع من استعمال كلمة إصلاح، كونها الاصدق تعبيراً. فهنا تبرز قضية فساد حقيقي مارسته الطبقة الحاكمة بقصد ولغايات خاصة، وهنا أيضاً يتطلب استعمال مبدأ الشفافية والمحاسبة الذي سبق أن أعلن عنه الملك عبد الله قبل أن يدخل الى نادي الاصلاح بدون كارت عضوية ثم يخرج من بابه الخلفي.

غالبية من قرأ كلمة الملك عبد الله، تمسّكوا بأقواله السابقة واعتبروها فاتحة لاصلاحات سياسية، ولكن الملك وحده والعائلة المالكة من قبله أزالت عن كاهلها عبء المصطلح بدلالاته السياسية والثقافية. نتوقع أن تختفي كلمة اصلاح من وسائل الاعلام الرسمي كما اختفت من لسان الملك.. ولكن أولئك الذين فهموا التطوير بمعنى الاصلاح لا يكترثون باللفظ بقدر ما ينعكس على الواقع في هيئة أعمال وسياسات، فليكن تطويراً طالما أن الغاية هو إزالة الفساد من الجهاز الاداري للدولة، وليكن تطويراً طالما أن الغاية اشاعة العدل والمساواة وتحقيق درجة متكافئة من التنمية الشاملة، ووضع أسس المشاركة السياسية، وتقاسم الثروة.. وليكن تطويراً طالما أن النتيجة هي بتر يد النهب من الثروة الوطنية، ومحاسبة اللصوص الظاهرين والباطنين.. ولكن لن يحظى الملك بوسام الاصلاح، بل وسام التطوير الذي لم تحدد مراتبه حتى الآن من قبل هيئة المواصفات والمقاييس السعودية!

صراع الملك ووزير الداخلية

التعبير الثقافي عن الخلاف السياسي

الفعاليات الثقافية التي جرت على هامش معرض الكتاب الذي أقيم في الرياض في مارس الماضي لم تعكس إنقسامات إجتماعية وثقافية فحسب، وإنما دفعت الى السطح إنقساماً سياسياً أيضاً على مستوى المجتمع والسلطة على حد سواء.. هكذا أخبرت التجاذبات المصاحبة واللاحقة لتلك الفعاليات. قد تكون الاخيرة المنازلة الأكبر حتى الان لتصادم إتجاهات ثقافية وإجتماعية، كونها رفعت الستار جزئياً عن تمزّقات سياسية ممتدة الى الدوائر العليا في هرم السلطة، وقد تكون فعاليات معرض الكتاب مسرحاً لاستعراض القوة بين تيارات فكرية متنافرة تتصارع نيابة عن أجنحة الحكم، وهو ما زخم الحدث بقسط وافر من الجدل والاهمية.

مثّل الحضور الكثيف والنوعي لأقطاب فكرية من التيارين المتصارعين الليبرالي والسلفي في الفعاليات الثقافية التي جرت على هامش معرض الكتاب بالرياض صورة الاصطفافات السياسية المرشّحة لأن تعكس توجهات متضّادة داخل السلطة، وإن كانت نقطة التصادم قابلة دائماً للزوال بفعل عامل الاجماع السائد بين أجنحة العائلة المالكة على وحدة السلطة، والاتفاق على مبدأ التسوية بين الأمراء الكبار.

على أية حال، حرّكت الندوات الثقافية الصاخبة المياه السياسية الراكدة، وألمحت الى طور في التجاذب غير مسبوق، يتنزل من أعلى الى أسفل، على خلفية افتراضية تضع الملك عبد الله في خانة الخط الليبرالي والامير نايف في الخط السلفي المتشدد.

لقد قيل بأن رواية المهندس الزراعي الشيخ محسن العواجي في القصيبي كواجهة مجازية للملك عبد الله قد حيكت بأصابع وزارة الداخلية، التي كانت ـ فيما يبدو ـ وراء إستغلال الحماسة المعهودة للعواجي في خوض المنازلات ضد خصوم أيديولوجيين وسياسيين، فقامت بإستنزاف حماسته في معركة أخرى تصيب بشررها رأس السلطة. لا ريب أن اللغة اللاهبة في مقالة العواجي بعثت دخاناً كثيفاً حول حرية الكلام التي منحت له كيما يطلق العنان لقلم مدجج بنصوص قرآنية فيما تتوشح نصائحه رداءً دينياً، ليعيد قذفها لاحقاً كتلاً من نار على كل من يختلف معه. لقد أثنى العواجي في رواية محبوكة بإتقان على دور الداخلية، وأخرجها من دائرة النقد، وقد أخبرت التطورات اللاحقة بأن من أبلغه عن إرتقاء القصيبي الى مستوى يفوق مكانة الأمراء، في عملية تذكير هابطة بالنظام المراتبي السلطوي، وكأنه يكتب بلسان المثلومين داخل العائلة المالكة، وتحديداً من أمراء الجناح السديري الذين أغضبهم تقريب الملك لأشخاص يقعون خارج دائرة الامتياز العائلي لآل سعود. إن مبدأ المفاضلة الذي لجأ اليه العواجي في مقالته أفشى سر الجهة التي تقف وراءه، ولا يمكن لمن يغيضه قرب القصيبي وغيره من الملك أن يعتمد المعيار ذاته في تثبيت حق أو نفيه، وكأنه أراد أن ينفي شيئاً لاثبات نقيضه فوقع في تناقض مكشوف. علاوة على ذلك، يخبر مبدأ المفاضلة في مقالة العواجي عن أنه مارس الدور ذاته الذي يعيب به على القصيبي، فقد وضع نفسه في موقع المناصر للداخلية التي أوكلت اليه مهمة كشف خبايا تنامي دور النخبة الليبرالية في السلطة، فأراد الاضطلاع بدور المحامي عن الجناح المتضرر، وهم مجموعة من الامراء في الجناح السديري وبخاصة الامير نايف ومن يليه.

إن مبدأ المفاضلة الذي لجأ اليه العواجي في مقالته أفشى سر الجهة التي تقف وراءه وكأنه ينطق بلسان الأمراء الخاسرين

لقد فهم الملك عبد الله فحوى رسالة الداخلية في حبر العواجي، مستعيناً بحاشيته المتوقدة نباهة ورصداً لما يقوم به رجال الداخلية، فأصدر الملك أمراً بتوقيف العواجي والتحقيق معه للوقوف على الجهة التي أوعزت اليه بكتابة مقالة تنطوي على معلومات وانطباعات تعبّر عن موقف تيار مناوىء لخط الملك.


نايف: يقود معركة ثقافية / سلفية ضد الملك

بعد يومين من اعتقال العواجي، حدث ما يلفت الانتباه، فقد صرّح ولأول مرة اللواء منصور التركي المتحدث بإسم وزارة الداخلية السعودية لوكالة رويترز في الثاني عشر عشر من مارس بأن الداخلية السعودية لا تملك أي معلومات عن الشيخ محسن العواجي، وأنه ليس في سجون وزارة الداخلية، في إشارة واضحة الى أن العواجي قد تم اعتقاله من قبل جهات مقرّبة من الملك عبد الله. وهذه المرة الاولى التي تنفي وزارة الداخلية بصورة علنية علاقتها بإعتقال شخص في إشارة غير مباشرة الى أن ثمة جهات أخرى مسؤولة عن ذلك. كما لم يسبق للاجهزة الامنية إعطاء تصريح لوسائل الاعلام بخصوص معتقلين سياسيين، حيث كان الامير نايف متمسكاً بتصريح ثابت (ليس لدينا معتقلون سياسيون). وقد سخر البعض من تصريح اللواء التركي كونه مصدراً واسع الاطلاع على ماجريات الوزارة الناطق بإسمها. إن تصريح اللواء التركي نيابة عن الامير نايف يستبطن إحراجاً غير مباشر للملك عبد الله بنفي مسؤولية الداخلية عن اعتقال العواجي، اضافة الى كونه ينطوي على ترضية للتيار السلفي القريب من وزارة الداخلية.

لم يطل بقاء العواجي في التوقيف رغم

قسوة النقد الذي أصاب الملك عبد الله بتصويره مجرد (أذن) أو كما وصفه مصدر في المعارضة السلفية والمقرّب من العواجي بأنه (طرطور وفاشل ويُتحكم فيه). لا ندري مالذي دفع رجل الدين والمحامي الشيخ عبد العزيز القاسم والمقرّب من الشيخ العواجي للتصريح بأن الاخير رهن الاعتقال لدى الشرطة السعودية، وأنه قد يظل رهن الاعتقال لعدة أسابيع. ولكن القاسم الذي يمثّل خطاً وسطياً حقيقياً ويميل الى صياغة خطاب ديني معتدل ويدعو الى إدخال اصلاحات سياسية وتعليمية وقضائية، أراد فيما يبدو تأكيد خبر اعتقاله من قبل الشرطة التابعة لوزارة الداخلية.

مهما يكن، فإن إعتقال العواجي لم يحيله الى رمز وطني، ولم يدخله في صفوف الاصلاحيين الذين خرجوا بهامات مرفوعة، ولم تكن جرأته في اختراق الخط الأحمر، عبر انتقاد الملك عبد الله، قد جعلته لاعباً يحطم الرقم القياسي السابق، فقد خسر قبل إعتقاله، حين تهكم بطريقة ساخرة على خصومه، ولم تقف نباله عند القصيبي وحده بل أصابت كل من يختلف معه، وخسر ثانية حين تكشّف الغرض المبيّت من مقالته النارية ضد القصيبي وصولاً الى الملك، وظهر كما لو أنه ناطق بلسان غيره، جمعه به الهدف المشترك الآني، وخسر أخيراً بعد الافراج عنه حين تم حجب موقعه (الوسطية) الفاقد لمعناها.

على أية حال، فإن المنازلة الثقافية في معرض الكتاب وتداعياتها بما فيها مقالة العواجي تدخل ضمن سياق مناكفات ناعمة تجري تحت السطح بين تيارين فكريين وتخفي تجاذباً متنامياً في أعلى السلطة، وقد تنتج المرحلة القادمة صوراً أخرى من التجاذب مع السباق المحموم بين اقطاب السلطة على ترسيخ نفوذهم داخل دوائر إجتماعية واسعة.

لقد بدا واضحاً أن مواقع دينية سلفية متشددة (الساحات) وخبرية (الوفاق) وغيرها من المواقع على شبكة الانترنت تحمل بصمة وزارة الداخلية. ففي موقع الساحات، على سبيل المثال، التي تستقطب تأييداً واسعاً من قبل السلفيين المتشددين وتنشر أفكاراً دينية تحرّض على العنف والكراهية ضد الآخر غير السلفي، فإن الموقع ينشر مقالات وتعليقات تمجّد وزير الداخلية نايف ونائبه محمد وكذا رجال الامن، في مقابل مقالات يكتبها أناس يتخفّون خلف أسماء وهمية ينالون من الملك عبد الله والمقربين منه وكذا المثقفين الليبراليين.

كتب رئيس تحرير صحيفة الرياض تركي السديري مقالة في العشرين من مارس الماضي حول أولئك الذين يختبئون خلف أسماء مستعارة ليوجّهوا بحرية مطلقة إنتقادات لشخصيات سياسية وفكرية وأدبية معروفة مثل محمد عبده يماني وغازي القصيبي ومحمد آل زلفه وعبد الله الغذامي. وقد وجّه السديري من طرف غير مباشر تهمة الى تلك الاسماء الوهمية التي تنشر مقالات في الوسطية واخواتها والتي وصفها بأنها بمثابة دكاكين

المنازلة الثقافية في معرض الكتاب وتداعياتها تدخل ضمن مناكفات ناعمة بين تيارين فكريين وتخفي تجاذبا في أعلى السلطة

(أبو ريالين) (يتّجه لها كل صاحب محفظة دينية أو ثقافية خاوية)، كونها تقوم بعملية تحريض عنف آلي. وذكر السديري مثالاً من موقع الساحات التي نشرت ما وصفه (لغواً بذيئاً) بحقه حيث إتهمه أحدهم بالافطار والسكر في نهار أحد أيام رمضان.

وفيما يبدو من ثنايا مقالة السديري، أن خلف الاشباح التي تقف وراء الموقع يقبع شخص أو جهة معروفة تشرف على هذا الموقع الذي لم يطله قرار الحجب، وقد أصاب هذا القرار عشرات لم تتجاوز حدود الادب واللياقة والتسامح في لغتها الحوارية. نقول ذلك، لأن السديري أنهى مقالته بتساؤل إستنكاري ينطوي على إشارة لجهة ما (هل صحيح مثلما ذكرت إحدى الصحف أن هناك باكستانياً ومغربياً يحرضان ويفتريان بأسماء مستعارة؟.. هما يقودان إلى ماذا.. وتفهم أن أكثر من جهاز مهم للغاية يستفيد من هذا التداخل الصاخب.. لكن هل يجوز أن يُترك لهم استباحة كل محظور؟..).


العواجي أفشى السر!

ما سبق يلفت الى أن التشققات السياسية على السطح الثقافي لا تشي، ضرورة، بولادة حلم التعددية الذي يدفن الواحدية معه، فالتشويه بات يصبغ كل أوجه حياة هذا البلد بدءا من التربية والثقافة ومروراً بالتنمية والبنى الفوقية أو الكبرى للمجتمع وصولاً الى البنية السياسية. إن إكراه الجميع على خوض المعارك بالنيابة لا يهدف سوى الى تعطيل طاقة البحث عن حلول حقيقية لمشكلات الدولة، حيث يتم إنصباب مجهود الجميع في هامش حياتهم لصالح مركز حياة غيرهم.

قد تبدو الصورة الظاهرة منقسمة بين خط الملك عبد الله المعضود من قبل القوى الليبرالية وخط الامير نايف المسنود من قبل القوى السلفية المتشددة.. أليس هكذا يتم إبلاغنا عن صورة الانقسام الداخلي؟ حسناً، ولكن هل ثمة ما يفرز الخطين بصورة حاسمة وقاطعة في هيئة سياسات وبرامج. أليس الملك هو راعي المسيرة الاصلاحية التي فقدت بقدرة قادر حتى المسمى، فأصبحت تطويراً. هل يومىء ذلك الى وجود انفراز فرقي؟، وأليس الملك هو الذي أقام الدنيا ولم يقعدها حول مبادرة للاصلاح عابرة للحدود، فأراد أن يمدّ ظلها الى جغرافية الجوار العربي كي ينعم بما حصل عليه من عبقرية إصلاحية كل ربوع الوطن الكبير من البحر الى البحر، فاختار بيروت منصّة لاطلاق مبادرته الاصلاحية ذات الطابع القومي والدولي.

بعيداً عن التفاصيل المريبة حول التصنيف الفرقي على خلفية سياسية متّصلة بقمة الهرم السلطوي، فإن المناخ الداخلي بات مؤاتياً لانبعاث التيارات الثقافية الخاملة والمهمّشة، وان كانت تقع ضمن المدرجين الثقافيين الكبريين: الحداثي الليبرالي والتقليدي السلفي. كيف يتمظهر كل تيار إجتماعياً وسياسياً يبقى رهن الظروف السياسية المحلية والاقليمية أيضاً، كما يبقى رهن المواضعات السائدة في الدائرة العليا للسلطة، وفي الاخير يبقى رهن إرادات الاطراف المشاركة في عمليات التجاذب الداخلية بأشكالها الثقافية والاجتماعية والسياسية.

وفيما يبدو، فإن النتوء الثقافي لتفاوتات سياسية مضمرة بين أجنحة الحكم يبقي الباب مفتوحاً على احتمالات جذب المزيد من الاطراف للمشاركة الى السطح السياسي عبر لافتات ثقافية، مع التذكير بتحفظات البعض حول الانخراط الكثيف في لعبة الكبار على مصالح خاصة تحرق طاقة الجميع، ولا تهدف سوى الى تعميق حالة الانقسام الاجتماعي وليس تعويد المتخالفين ثقافياً على قبول وممارسة مبدأ التعدد بما هو حالة ثقافية وحقوقية تقتضي إقراراً بحق الآخر في الوجود والتعبير عن ذاته بحرية تامة مكفولة قانونياً.

محاولة لتفسير توقف دعوات التغيير والإصلاح في السعودية

الظرفيّة السياسية مظهرٌ للخلل ومصدرٌ للعطب!

ما أسرع ما ظهرت، وما أسرع ما انخمدت، دعوات الإصلاح والتغيير في المملكة.

الدعوات الى الإصلاح كانت محتبسة بل مختنقة في صدور بعض المثقفين الإصلاحيين، فكانت تنتظر المناخ لانطلاقها.

هكذا كان الحال بداية التسعينيات عشية احتلال النظام العراقي للكويت وتواجد نحو نصف مليون جندي أجنبي على أراضي السعودية. وهكذا كان الحال عشية تفجيرات ٩/١١ وما تلاها من عنف دموي في السعودية، خاصة عاصمتها الرياض.

اقتناص الظرف عمل سياسي بلا شك، والإصلاح المنشود يفترض ان يقتنص الظرف ويبني عليه لا ان يتوقف عنده. الظرف هو الإبرة التي تثقب وتنتهي الحاجة منها، وهو الصرخة التي تكسر عالم الصمت، لتتلوها صرخات وصرخات. أي ان الظرف يفترض أن يشير الى بداية الانطلاق لا الى نهايته بالضرورة، وإلا أصبح العمل السياسي الوطني (موسمياً) تتلاعب به الظروف المتغيرة بدل أن يقتنص الإصلاحيون تلك الظروف لصالح مشروعهم الإصلاحي. هذا لا يعني بالطبع أن تغير الظروف غير مؤثر في مسيرة اي عمل اصلاحي تغييري، فالظروف السلبية يفترض ان لا توقف الإصلاحيين عن نشاطهم بل أن يحاولوا الالتفاف عليها وتقليل سلبياتها، ولكن ليست كل الظروف سلبية، فهناك ظروف ايجابية تأتي ضمن مسيرة العمل، يفترض أن تلتقط وتوظف، وهناك ظروف يحاول النظام كما الإصلاحيون الإستفادة منها بصورة من الصور أي انها قابلة للتوظيف المشترك، وهنا تظهر مدى قدرة الدعوة الإصلاحية وحكمتها في العمل التغييري.

لكن الاعتماد على الظرف السياسي او الإجتماعي وحده لا يصنع حركة مستمرة، ولكن قد يعوقها أو يضيف اليها زخماً. إن دوافع التغيير والإصلاح لا تكمن في الظرف المؤاتي ذاته، وإنما في الشعور الداخلي لدى المواطنين ومدى احساسهم بالقلق على حاضرهم ومستقبلهم، ومدى معرفتهم ووعيهم بحالهم، ومدى شعورهم بقدرتهم على النهوض في مواجهة الأوضاع السيئة التي تلمّ بهم، وبثمن التصدّي الواجب عليهم دفعه لكي يصطلح حال الوطن. الظرف المحلي هو محصلة نتائج وسياسات تبلور مناخاً لانطلاقة العمل، وقد يكون محصلة لظرف خارجي او الإثنين معاً (كما في أحداث سبتمبر).

ولذا فإن استراتيجية العمل الإصلاحي تقوم على قراءة الظرف والإستفادة منه والإنطلاق به لصناعة ظرف آخر له ديناميكيته الخاصة التي يتحكم ببعض مفاصلها - على الأقل - دعاة الإصلاح أنفسهم.. لا أن يتم التوقف عند أصل الظرف الأولي الذي سريعاً ما يتغير. بمعنى آخر، فإن اي حركة تدعو للإصلاح تستفيد من الظروف المحيطة بها التي يصنعها النظام بسياساته او يصنعها الظرف الدولي والإقليمي، ولكن من أجل أن تصنع هي واقعها الخاص بها، أي تصنع ظرفها التي تشكله بنفسها من خلال انطلاقتها الأولى على ظروف يتحكم فيها صانعوها.

والحركة الإصلاحية في المملكة سواء في بداية التسعينيات الميلادية الأخيرة أو بداية

> **استخدام الظرف يشير الى بداية الانطلاق لا الى نهايته بالضرورة، وإلا أصبح العمل السياسي الوطني (موسمياً) تتلاعب به الظروف**

الالفية الجديدة، حاولت الإستفادة من الظرف ولكنها توقفت عنده فظهرت تغيرات في الظرف الأصلي، وتعطلت المسيرة. الحركة الإصلاحية في المملكة لم تستطع خلق واقعها الخاص بها، ومحيطها الذي تنتعش فيه ويضمن لها الإستمرارية، عبر نقل المواطنين من ظرف سياسي صنعه غيرها الى ظرفها الخاص بها، وهي نقلة تتطلب جهداً ووعياً كبيرين.

هذا قد يفسر لنا جانباً من أسباب توقف الحركة الإصلاحية في المملكة.

لنلاحظ أولاً، أن نواة الحركة الإصلاحية التي بدأت بعد احتلال صدام للكويت، جاءت من التيار الليبرالي، الذي ما كاد ينطلق ببعض بيانات او عرائض تعدّ، حتى التقط الخيط التيار السلفي، وفجّر معركته على قاعدة مذكرة النصيحة التي لا تمثل توجهاً اصلاحياً بقدر ما تمثل توجهاً رجعياً يريد المزيد من أسلمة الدولة والمزيد من السلطات للتيار السلفي نفسه، وإبعاد ما عداه. يومها توقف الإصلاحيون، ليصبحوا فريقاً من المشاهدين على معركة بين النظام وبين بعض توجهات التيار السلفي، وقد استمرت مراقبتهم طويلاً أقعدتهم عن الحركة، ونُسي الإصلاح، ربما لأن البعض رأى أن ما يجري (فخّار يكسّر بعضه!) والبعض الآخر رأى ربما في معركة النظام معركته، فإذا كان غير قابل بالوضع الحالي، فكيف يقبل بأن يأتي ما هو أسوأ منه على يد السلفيين المتطرفين أنفسهم.

ومرّت الفرصة وضاعت بتوقف الفعل وتغير الظرف، واستفرد النظام بالسلفيين فأودعهم السجن، وبينهم أفراد انتقلوا فيما بعد الى الرصيف الآخر بقراءة أكثر وعياً ونقصد من هؤلاء الدكتور الحامد، ومجموعته.

ولنلاحظ أن بداية الإنطلاقة الأخيرة لدعوات الإصلاح كانت بعيد أحداث ٩/١١ التي شارك فيها متطرفون سعوديون يتبعون القاعدة، والذين صنعوا بفعلتهم مناخاً محلياً ودولياً يدعو للإصلاح في المملكة، فالأميركيون من جهة مارسوا ضغوطاً على السعودية، ولم يتوان البعض عن الدعوة الى قصف حتى الكعبة، وبعضهم طالب بتغيير النظام السياسي القائم لأنه يعضد الوهابية المتطرفة وينشرها في كل مكان من العالم، أي أنه بصورة من الصور يصدر الفكر الإرهابي والشباب الإرهابي والمال أيضاً. وكان هناك


الإصلاحي أبو الشيماء: أين نتجه السفينة؟



قادة الإصلاح: أين البقية؟

في المقابل في داخل المملكة شعور بأن سياسة العائلة المالكة الخاطئة قد توقع البلاد في مزالق وحروب وقد تنقسم البلاد وتتشظى، وكان هناك الكثير مما يجب إصلاحه في مضامير السياسة والإقتصاد والدين والتعليم والقضاء والمرأة وغيرها، ولكن النقطة شديدة التأثير كانت تتمحور حول التراجع الإقتصادي الذي يعيشه المواطن الذي لا يجد وظيفة ولا مقعداً في الدراسة. وبدأ المواطنون يتحدثون، فما أصعب أن لا تكون هناك لقمة عيش كريمة!

المناخ هذا، عشية أحداث سبتمبر، أخذ بالتبدل شيئاً فشيئاً لصالح العائلة المالكة، ولم يأتِ دفعة واحدة، ولازال ذلك الظرف في حالة تغير وتبدل وإن لم يجد من يستثمره من الإصلاحيين بعد.

الحكومة راهنت على علاقاتها بأميركا، وسعت لإرضاء الأخيرة بكل وسيلة ممكنة، ونجحت الى حدّ كبير. كان النجاح قد اعتمد على تغيرات في الظرف الأصلي لم يستفد منها الإصلاحيون:

١ ـ حدث تغير في داخل المملكة من جهة أن العنفيين التكفيريين أصبحوا يتقصدون الأجانب ولكنهم لم يتقصدوا أحداً من آل سعود. هنا أخذت الحكومة تلك الأفعال الى واشنطن كدليل على براءتها من تمويل ودعم الإرهاب، وأعلنت استعدادها ـ بعد أن امتلكت المبرر ـ أن تدخل ضمن المشروع الأميركي الجديد في مكافحة الإرهاب الاسلامي، بعد أن انتهى دورها في (مكافحة الشيوعية). في حين أن الحقيقة تقول غير هذا، الحقيقة تقول بأن ما جرى في السعودية من تفجيرات إنما هو نتاج السياسة الخاطئة التي اعتمدتها الحكومة السعودية ـ والتي لم تكف عنها حتى اليوم ـ بانحيازها الى رؤية مذهبية متطرفة منغلقة ودعمها بلا حدود. التفجيرات في السعودية كان يمكن أن تُستثمر كدليل (إدانة) للعائلة المالكة لا دليل (براءة) فهي (المجرمة) ولم تكن في يوم ما (الضحية).

الذي فعله الإصلاحيون خطأ، ليس في إعلان وقوفهم ضد العنف، بل لجهة وقوفهم مع العائلة المالكة نفسها في خندق واحد ضد العنف، والفارق بين الإثنين واضح. في الأول أنتَ تدين العنف ومن سبّبه وأدى الى انفجاره بوجه صنّاعه من آل سعود. وفي الموقف الثاني أنتَ تقف الى جانب آل سعود باعتبارهم (ضحايا) ذلك العنف الأعمى، وتبرئهم من مسؤولية صُنعه واستخدامه ضد الآخرين قبل أن يرتدّ عليهم. هنا يكون موقف العائلة المالكة معزّزاً، فالإصلاحي في هذه المعادلة السياسية أضعف، حتى وإن قال بأن العنف لا يفيد معه الأداة الأمنية وحدها، بل الأداة السياسية (في إشارة الى ضرورة الإصلاح السياسي). وبعد أن أخذت العائلة المالكة مشروعية مواجهة العنفيين وتقوّت بالشارع بمختلف توجهاته، بمن فيه رموز الحركة الإصلاحية، عادت وارتدت على هؤلاء الأخيرين واتهمتهم بأنهم يقفون الى جانب العنف والإرهاب!

اللعبة اللاأخلاقية التي قامت بها العائلة المالكة كانت هكذا، وعلى هذا الأساس اعتقل الإصلاحيون، وعلى أساس مكافحة العنف وأولويته على غيره من القضايا جرى تبرير أن الأنظار يجب أن تتجه الى (الالتفاف حول القيادة) وأن لا إصلاح سياسي قبل القضاء على الإرهاب. هكذا تحولت العائلة المالكة، حليفة الإرهاب ومصنعته، وداعمة رموزه الوهابية المتطرفة، الى موقع النقيض، وبدل أن تحاسب على ما فعلته في الماضي صارت هي من يحاسب غيرها بالباطل ويستخدم أوراقه بصورة خبيثة كاذبة.

كان بإمكان الإصلاحيين أن يفعلوا ذات الامر: أن يتهموا العائلة المالكة وأجهزتها الرسمية المباشرة بأنها تدعم الإرهاب. ولديهم

الحركة الإصلاحية الواعية لا يخنقها الظرف الذي لم تصنعه، وهي التي تصنع لها ظرفاً خاصاً بها يحقق لها النمو والإستمرار

ألف دليل ودليل على ذلك، بما فيها عشرات المقالات التي كانت تسطر في الصحف المحلية نفسها. فالتطرف الذي اكتشفناه بعد أحداث ٩/١١ لم يفارق المملكة منذ تأسيسها، وكان عهد فهد، هو عهد (تسمين) التطرف والمتطرفين وتمكينهم من جهاز الدولة ومساعدتهم على القيام باعمال عنف خارج حدود السعودية.

نقول كان بامكان الإصلاحيين أن يقولوا بأن العائلة المالكة يجب أن تحاسب، أو على الأقل يجب أن يطلب منها بأن تعيد النظر في مواقفها تجاه الموقف من المتطرفين فكرياً وعنفياً، وأن تبني سياسات جديدة، وأن تعلن على الملأ خطأها. فحتى الآن، تنصب الإتهامات على العنفيين أنفسهم وعلى المشايخ، دون المساس بالذوات المقدسة (آل سعود) التي سلمتهم الدولة واجهزتها، وخصصت المليارات لنشاطاتهم الداخلية والخارجية، ودافعت عنهم في كل محفل.

كان بإمكان الإصلاحيين أن يقولوا بأن العنف من نتاج سياسة العائلة المالكة، وأن ٩/١١ كما تفجيرات الرياض وغيرها خرجت من عباءتها.. وأن ادانة العنف تعني ادانة الذين رفدوه بالأمس القريب والذين لم يصدقوا بعد أن سعوديين هم من قاموا بتفجيرات نيويورك (ظل نايف يقول ذلك حتى بعد عامين من وقوع الحدث). كان بامكان الإصلاحيين، ان يوجهوا غضب الشارع على آل سعود وعلى حلفائهم المتطرفين التكفيريين (خاصة وأن عدد آل سعود عشرين ألفاً لم يصب منهم أحد حتى الساعة بأذى، فما معنى هذا؟). وكان بإمكانهم أن لا يقفوا مع الحكومة قبل أن تكفر عن فعلها بوعود قاطعة وأجندة واضحة للإصلاح السياسي الذي يفترض فيه أن يقضي على جذور العنف والكراهية والتكفير. كأن يقولوا بأن العائلة المالكة أخطأت ونحن نقف معها في حال: أعلنت خطأ سياستها ومنهجها السابق؛ وفي حال أعلنت أجندتها الإصلاحية تكفيراً عن خطئها!

لأن الإصلاحيين كانت تحكمهم معايير أخلاقية في الممارسة السياسية، اضافة الى الخوف من قبضة آل سعود الأمنية، اتخذ خطابهم جانباً مختلفاً ووقفوا مع الاخيرين الذين لا يلتزمون بمعيار أخلاقي في السياسة. ودليلنا الصارخ على ذلك، هو أن البيانات والكتابات والتصريحات والعرائض المتعددة التي قدمها الإصلاحيون علنياً وصارت في متناول الجميع، والتي تؤكد كلها على (الوقوف الى جانب القيادة في مواجهة العنف).. هذه الأفعال كلها رغم وضوحها، فإن العائلة المالكة ـ ممثلة في نايف وزير الداخلية ـ كان لديها الجرأة بل الوقاحة والصلافة لتعتقل رموز الإصلاح وتزج بهم في السجن وأن يأتي دعمهم للإرهاب في مقدمة مواد الإتهام. هذا والمواطنون حاضرون شاهدون على الباطل السعودي، ولكن لأننا لا نتحاكم الى قاعدة أخلاقية، فآل سعود طلاب حكم وليسوا طلاب حق أو حقيقة أو أخلاق.

المثال الآخر المهم في هذا الإتجاه، أن الكتابات وما احتوته العرائض والمقالات كلها كانت تشير الى اتجاه حاد ضد الولايات المتحدة الأميركية التي أسقطت للتو حكم الطالبان ومن ثم نظام صدام حسين. ولا يخفى

أن انتماءات الإصلاحيين السياسية (المتدينون والقوميون واليساريون) هي ضد الأميركان، لدرجة أنهم أصدروا بيانات منفصلة تدين التدخل الأميركي في هذا البلد أو ذاك، وهو أمرٌ ليس من شأنهم المباشر، خاصة وأنهم يصارعون نظاماً حليفاً ومدعوماً من اميركا. قال الإصلاحيون بأنهم ضد تقسيم المملكة، وضد الإصلاح الآتي من واشنطن، ورفضوا الإلتقاء بالسفير الأميركي في الرياض، ومع هذا كله، يأتي في مقدمة الإتهامات لهؤلاء المعتقلين أنهم مرتبطون بجهات أجنبية، أميركية، أي أنهم عملاء!

ومن جانبها تقوم السفارة السعودية في أميركا، وبعض الأيدي الخفية في الرياض، لتزود السفارة الأميركية هنا في الرياض والخارجية الأميركية هناك في واشنطن، بكل الأدبيات التي تتضمن شتيمة من قبل الإصلاحيين السعوديين ضد أميركا وسياساتها، بغرض أن يقولوا لهم: هل تريدون تغييرنا لصالح هؤلاء الذين يكرهونكم؟!

هذا النفاق الذي اتبعه آل سعود: اتيان المنكر واتهام الاخر به، لم يقم به الإصلاحيون. هؤلاء لو اتهموا آل سعود بالعمالة للأميركان او للغرب بمجمله ما أخطأوا!

وهل جاء ال سعود الى الحكم بغير دعم بريطانيا؟

وهل استمروا بغير حمايتها وحماية الأميركان؟

الم تكن السعودية الحليف الأكبر لأميركا، قبل احداث ٩/١١، فكيف انقلبت فجأة الى عدو أميركا؟

لقد بقيت وصمة العمالة للغرب ثابتة في جبين آل سعود منذ فجر تأسيس الدولة السعودية نفسها، وإذا بآل سعود أنفسهم، وفي لحظة كذب يتحولون الى أعداء أميركا، ويتحول عدوهم الى عميل أميركي!

ربما لم يكن الإصلاحيون يدركون المدى الذي يمكن أن يذهب اليه النظام في مزاعمه وفي بطشه، مع أن معظم الإصلاحيين الذين اعتقلوا فيما بعد قد جربوا من قبل سجون آل سعود سنوات وسنوات. لكنهم فيما يبدو لم يتوقفوا عند الهامش المناوراتي الذي يمكن أن تصل اليه لعبة الإصلاح في مملكة آل سعود.

٢ ـ حدث تغيّر في العلاقات الأميركية السعودية، فقد تحسّنت العلاقات بسبب تغيّر ثلاثة أمور: الأول ناقشناه ويتعلق بانفجار العنف داخل السعودية، الأمر الذي أدّى الى تخفيف الضغوط الأميركية، واعتبار مكافحة الإرهاب في مقدمة الأجندة وليس الإصلاح السياسي. الأمران الآخران: هما تعقد وضع الأميركيين في العراق، وازدياد الحاجة الى المخزون النفطي السعودي في تخفيف حدة ارتفاع اسعار النفط، وكذلك الحاجة الى اعادة تدوير أموال النفط (البترودولار).

في الموضوع العراقي، بدا أن الملف العراقي منذ ابتدائه ملتهباً في غير صالح السعوديين، وانتهى بأن الحرب الأهلية (التي كان للوهابية المتطرفة والوهابيين السعوديين) الدور الأكبر في ان تصبح قريبة من الأبواب. المسألة يمكن أن تبحث هكذا: كان وجود القوات الأميركية على ابواب السعودية، ودول أخرى، مخيفاً أن يتكرر لديها، وبالتالي كان يمكن أن يكون محفزاً للوضع السياسي من أجل التغيير. فالخشية من التدخل الأجنبي بحجة مكافحة الإرهاب، او معاقبة السعودية مصدرة الإرهاب، أو تقسيم السعودية بأية حجة كانت، كان يمكن أن تدفع الى تصليب الوضع السياسي المحلي، وهو أمرٌ لا يمكن حدوثه بدون اصلاح داخلي وتنازلات سياسية تقدمها العائلة خاصة في المجال السياسي.

كان الإصلاحيون السعوديون واعين لهذا الأمر، ولعلنا نشير هنا الى دراسة الإصلاحي الدكتور متروك الفالح: السعودية في ضوء احداث ٩/١١: الإصلاح بوجه التقسيم والإنهيار. تلك الدراسة كتبت قبل ان تنطلق الحركة الإصلاحية بزخمها المعروف بأشهر عديدة. الخطاب الإصلاحي في الموضوع العراقي كان قاصراً ايضاً.

فقد انشغل بتفاصيل الوجود الأميركي،

لا تعدم أية حركة تدعو للإصلاح الى مبررات، حتى وإن تغير الظرف باتجاه آخر، فالأوراق كثيرة ـ وعلى اللاعب السياسي الفطن ان ينتبه لها

والإعلان المفتعل بمواجهته والوقوف ضده، ولم يلحظ الإصلاحيون حقيقة أن المهم ليس توسيع المعركة على مدى العالم العربي (بالكلام) بقدر ما يهم الإهتمام بنتائج ذلك الوجود وما يترتب عليه من جهة الجانب السعودي. شئنا أم أبينا، فإن ضعف الأميركيين في العراق، يعني تقليص الضغط على العائلة المالكة السعودية، وهذا يعني تأجيل الإصلاحات. ذلك لأن العائلة المالكة، لا تعير بالاً للوضع المحلي إلا بلحاظ (الخارج الأميركي والغربي). فهي ترى نفسها قادرة ـ وحسب المعادلات الأمنية ـ على قمع كل التحركات وبأية حجة دينية او سياسية او غيرها. ولكنها تخشى دوماً من ارتباط (العامل المحلي السعودي) بـ(العامل الإقليمي، والدولي على وجه الخصوص). فالسعودية كدولة، وآل



بندر لبوش: الإصلاحيون ضد أميركا!

سعود كحكام لها، إنما قامت وقاموا على اقتناص ظروف اقليمية ودولية، رجحت كفتهم مقابل القوى السياسية الأخرى (الاشراف في الحجاز والرشيديون في حائل والشيعة وغيرهم في الشرق والجنوب). ولذا فآل سعود يصيبهم الهوس بمجرد الشعور غير القائم على أدلة بشأن ارتباط النشاط الإصلاحي بالخارج (خاصة اذا كان غربياً اميركياً).

نتائج الوضع في العراق لم تكن من صنع غير الأميركيين بالدرجة الأساس. لكن الإصلاحيين أخطأوا حين اعتبروا ما يجري في العراق قضية توازي قضيتهم المحلية، وحتى لو كان هذا الشعور صحيحاً وغير معيباً، فإنه من الخطأ الإعلان عنه، لأنه يصب في مصلحة آل سعود أنفسهم الذين شعروا بالإطمئنان الداخلي بدون أن يقدموا على أية إصلاحات جادّة، وزاد آل سعود في استثمار تماثل المواقف حيث زايد الإصلاحيون على آل سعود (في كره الأميركان)، فكانت النتيجة ليس ضربهم فحسب، بل ضربهم بعصا (العمالة لأميركا)!

آل سعود من جانب آخر، أوحوا للأميركيين بأن لهم أوراقاً يلعبونها في العراق لصالح استقراره! وكان الأولون بحاجة الى أي عون ينقذهم من مأزقهم، في حين كانت جموع التكفيريين وأموالهم تنطلق من السعودية بتغاض حكومي لتشعل النار في المساجد والشوارع العامة والأسواق والمؤسسات والمنشآت الخدمية العراقية. وحين تأكد آل سعود من أن أميركا لن تتدخل في بلد آخر، أو ليس لها القدرة على فعل ذلك، كشروا عن أنيابهم في الداخل، وسحقوا هامش الحرية المتغاضى عنه في الإعلام، واعتمدوا كلمة (التطوير) بدل (الإصلاح) في دلالة واضحة على أن شيئاً من الإصلاح السياسي لن يحدث. وها نحن لا نسمع أي شيء (حرفياً لا شيء) عن أي اصلاح سياسي في المملكة: لا من جهة انتخاب المجلس الوطني ـ الشورى، ولا مجالس المناطق، ولا دستور سيوضع، ولا حتى الإنتخابات البلدية صار لها أي قيمة بعد تأخير دام عاماً كاملاً اعقب الإنتخابات تلك!

الأمر الآخر المتعلق بالإقتصاد لا يحتاج الى شرح طويل، فالولايات المتحدة كانت تؤمل أن يخفف النفط العراقي والمخزون الهائل منه

الى تقليص الإعتماد على السعودية ودول أخرى، التي بدأت تظهر وكأن صلاحيتها في الحلف الأميركي قد انتهت. لكن الإضطراب في العراق، وارتفاع اسعار النفط غير المعادلة. وها نحن نشهد اليوم من جانب السعوديين تصريحات وأفعال تتعلق بضخ أكبر كمية ممكنة من النفط في محاولة للسيطرة على الأسعار، ولسان حالهم يقول: لازلتم بحاجة الينا، ونحن لازلنا أصدقاء أوفياء لكم. ومن جهة ثانية نرى انعكاساً للأموال المتوفرة بيد السعوديين حيث نجد طوابير الرؤساء الغربيين ووزراؤهم في الرياض، كلٌ يطلبُ حصّته من البترودولار! عبر صفقة أسلحة أو صفقات من نوع أخرى أو غير ذلك.

الإنعكاس الاخر لأسعار النفط كان محلياً، وقد حوّل الوضع الداخلي أيضاً بصورة من الصور، فبمجيء عبدالله كملك للبلاد، ضخّ


نايف: الإصلاحيون عملاء للخارج ويدعمون الإرهاب!

الكثير من المال المباشر الى جيوب المواطنين (زيادة الرواتب) وحاولت الحكومة لتجنب الإصلاح السياسي والتدشين للملك الجديد تخطي عوائق التعليم (المقاعد) عبر الإبتعاث المكثف (٥٠٠٠ بعثة كل عام، كما أعلن)، فضلاً عن أن وزير العمل بذل جهوداً كبيرة لمحاصرة العمالة الوافدة، وإقحام السعوديين في ماكنة العمل. أضف الى ذلك ان سوق الأسهم السعودية كانت في حالة انتعاش دائم في العامين الأخيرين أخذت بعقول المواطنين عن كل شيء عداه، فكانت بمثابة (خزّان الإغواء)، والبطة التي تبيض لكل مواطن ذهباً بدون جهد.

فإذا علمنا أن القضية السياسية في المملكة كانت في جانب كبير منها انعكاس للوضع المتردي الإقتصادي وغيره، نعلم أن الحكومة حققت اختراقاً أولياً في هذا الجانب الى حد إعادة عدد من المجاميع الى حيث (العَلَف!) اي اشغالهم بقوت يومهم وجمع المال تعويضاً عما فات، في ظل ترويج لطفرة اقتصادية مماثلة لتلك الطفرة التي حدثت في السبعينيات الميلادية الماضية والتي استمرت نحو عشر سنوات.

تحسّن الأداء الحكومي بفعل أموال النفط، وشراءها ذمم الدول الغربية حتى لا تشير عليها مجرد الإشارة بالقيام بإصلاحات سياسية، هو تحدٍ لاي حركة اصلاحية. فمن الجيد ان يتحسن وضع المواطن اقتصادياً، واذا حدث ذلك، كان على الإصلاحيين (وإن كانت رموزهم مغيبة في السجون) أن يركزوا على الفقراء والمعدمين، وهم كثر، ولا يجب أن ننسى أن الطفرة الأسهمية النفطية لم تلغ حالة الفقر، ولكن كل انجاز يتحقق يفترض ان يدفع بالإصلاحيين الى مكان آخر فيه خلل ونقصان. وقد كانت هناك انتكاسات وأخطاء للحكومة لم تستثمرها الدعوة السياسية الإصلاحية في المملكة، وهناك الكثير قادم يمكن الإستفادة منه. بمعنى آخر، لا تعدم أية حركة تدعو للاصلاح الى مبررات، حتى وإن تغير الظرف باتجاه آخر، فالأوراق كثيرة - وعلى اللاعب السياسي الفطن ان ينتبه لها.

ماذا كان موقف الإصلاحيين من موضوع سوق الإسهم وانهياره السابق أو الآتي الأكثر ظلمة؟

ألم يكن يمكن ان تكون لهم كلمة في هذا، وموقفاً تواجه به النخبة الحاكمة التي قضت على كثير من مدخرات مواطنيها وصلت في بعض الأحيان الى ٧٠٪ منها (تريليون ريال/ الف مليون ريال كانت الخسارة في شهر واحد)؟

ألم يكن العنف المحلي المستمر، كحادثة بقيق وغيرها، دلالة اخرى على أن الوضع الأمني مازال مضطرباً، وأن الحل السياسي ضرورة؟

الا يزال التطرف الوهابي يعصف بتراث البلاد وتراث المسلمين، ويخنق المجتمع؟ وهل ما حدث في معرض الكتاب عن أذهاننا ببعيد؟

ألم تسلح العائلة المالكة التيار السلفي بأسلحة جديدة في مقابل دعاة الإصلاح، ألا نرى نشاط هيئة الأمر بالمعروف كيف تضاعف وتجاوزاتهم ازدادت؟ ألا نرى طغياناً للحضور السلفي في القنوات التلفزيونية السعودية؟

ماذا يعني كل هذا لحركة تدعو الى الإصلاح؟

الأوراق كثيرة لمن يريد استثمارها ليصنع منها ظرفاً ينطلق منه ولا يتوقف عنده.

والخلاصة أن الحركة الإصلاحية الواعية لا يخنقها الظرف الذي لم تصنعه، وهي التي تنطلق من ظروف صعبة لتصنع لها ظرفاً خاصاً بها يحقق لها النمو والإستمرار، عبر نقل الشارع من مرحلة نضالية الى أخرى.

الملك وشركاؤه السديريون

لا يعكس الخلاف بين الملك عبد الله والامير نايف، بشكله ثقافياً في تقاطب التيارين الليبرالي والسلفي المشهد الكامل للخلاف داخل العائلة المالكة، التي مازالت منقسمة على نفسها في موضوع إختيار النائب الثاني للملك، في ظل رفض من أغلب الاجنحة على تعيين أمير سديري في هذا المنصب. فموضوع المحاصصة لا يزال أولوية مركزية في مجالس العائلة المالكة، وأولوية أيضاً في المناقشات الثنائية التي تجري داخل قصور الامراء المتضررين.

لقد بدا في الشهور الاولى لعهد الملك عبد الله بأن مركز الملك المهيمن الذي غاب نحو عقد من الزمن يستعيد قوته ومركزيته المنقسمة بين الامراء الكبار (سلطان، نايف، سلمان)، ولكن الشهور القليلة الماضية كشفت عن حقيقة أن المركز قد تآكل للأبد بفعل ضخامة النفوذ والسلطة التي اقتطعها الأمراء الثلاثة من مركز الملك قبل وصول عبدالله الى العرش.

قد تكون النهاية غير السعيدة لزيارة الرئيس الفرنسي جاك شيراك الى السعودية واحدة من صور الوهن الذي أصاب مركز الملك، حيث عاد شيراك الى بلاده دون تحقيق هدفه في توقيع صفقة الحلم مع السعودية والممثلة في طائرات رافال الفرنسية التي كان يعوّل عليها في تهدئة الاوضاع الاقتصادية الفرنسية التي كشفت الاضرابات والمظاهرات في المدن الفرنسية عن حجم خطورتها. كان شيراك موعوداً بتلك الصفقة من الملك عبد الله والتي تأتي كتعبير عن الصداقة الشخصية والصلة الوثيقة التي تعززت بينهما خلال أكثر من عقد. ولكن الامير سلطان وزير الدفاع الذي يتطلع لعقد صفقة كبرى يجني منها عمولة مليارية أدخل الاميركيين على خط المفاوضات لتخريب صفقة الطائرات الفرنسية، ونجح في ذلك، وهو ما أغاظ الملك عبد الله الذي شعر بالحرج أمام نظيره الفرنسي الذي طوى أشرعة الامل وعاد مع وفد رفيع المستوى من بلاده بمجرد وعود مؤجلة.

أفصح الملك عبد الله عن غضبته من موقف الأمير سلطان الذي لم يحفظ لأخيه ماء وجهه أمام الضيف الفرنسي، الذي يتقاسم مع الملك صفة الاهتمام بالعلاقة الشخصية، ما دفع بالامير سلطان الى إختيار المغرب (أغادير) مكاناً لتنفيس الهم، فذهب اليه الوسطاء بغرض تهدئة الخلاف بينه وبين الملك، وناشدوه العودة الى الديار لاستلام مهامه، وقد لحق به ملك البحرين الشيخ حمد المقرّب من الجناح السديري لذات الهدف، ونجح في إقناعه بالعودة، بإنتظار رحلة الملك عبد الله في نهاية شهر مايو التي كان من المقرر لها أن تتم في نهاية شهر أبريل ولكن تم تأجيلها لمزيد من المشاورات بخصوص صفقات الاسلحة المقترحة.

بندر في موسكو لشرح الرؤية السعودية تجاه ملف ايران النووي

لاءتان سعوديتان: لا للنووي الإيراني ولا للحرب الأميركية!

السعودية لا تريد أن تمتلك إيران سلاحاً نووياً.
هذا أمرٌ معقول ويمكن تفهمه.
فلا زالت إيران تعتبر في أقل التقادير (منافساً) في النفوذ الجيواستراتيجي في الخليج العربي. وحصولها على سلاح نووي يخلّ بموازين القوى بشكل كبير لصالح ايران، خاصة في غياب العراق.
وهذا متفهم أيضاً من جهة أن العقيدة العسكرية للسعودية تتعامل مع إيران على أنها العدو الاستراتيجي الأول، وليس اسرائيل التي تتشارك معها في التحالف مع الغرب خاصة الولايات المتحدة.
والأمر متفهم من زاوية ثالثة نظراً لاختلاف الأيديولوجيا بين البلدين، حيث تعير المملكة (ايديولوجيتها) السلفية دوراً كبيراً في رسم سياستها الخارجية، خاصة وأن هذه الأيديولوجية تجد نفسها نقيضاً للتشيّع أكثر مما تجده نقيضاً للصهيونية، فالاخيرة عقيدة دينية - سياسية من خارج الإطار الإسلامي، وفي الحالة الإيرانية المسألة مختلفة، ولطالما عبّر السعوديون - قادة سياسيين او وهابيين - بأن المسلم الذي لا ينضبط بأحكام الإسلام - حسب رؤيتهم السلفية - وسواء كانوا شيعة أم سنة فهم أسوأ من المشركين والكفار، صريحي المخالفة للإسلام.
وهو متفهم من زاوية رابعة، وهي أن المملكة اضافة الى أنها تنظر الى مكافحة التشيّع كعقيدة سياسية على مستوى كوني، فإنها في الوقت نفسه تضم بين جنباتها عددا من الشيعة تصل التقديرات الى تمثيلهم نحو ١٠٪ من مجمل سكان المملكة. والحكومة السعودية تخشى أن يتمدد النفوذ الايراني الى المملكة إما عبر مواطنيها أو تتمدد المشاكل من الخارج الشيعي اليهم. والحكومة السعودية تعيش ما يشبه الهوس فيما يتعلق بالقلق من الخارج بمبالغتها في دور الأيديولوجيا (مثلما تنظر هي الى أيديولوجيتها السلفية).
هذا كله يتعلق بـ (احتمالات) وجود قدرة لإيران على تصنيع سلاحها النووي، الذي لا تستطيع الحكومة السعودية أن تجاريه، نظراً لافتقارها الشديد للإمكانات العلمية، ونظراً لعدم استعدادها - في حال توفر تلك الإمكانات والسعي لتحصيلها - للدخول في مواجهة مع حلفائها الغربيين.
ومن هنا فإن المشروع النووي الإيراني بمختلف احتمالاته السلمية والعسكرية، يثير قلقاً لدى السعودية أكثر من قلقها إزاء امتلاك اسرائيل الفعلي للسلاح النووي. ومع أن المشروع الإيراني، فيما يبدو، قد أُعدّ كوسيلة دفاعية استراتيجية، لحماية النظام من تهديدات مشابهة لما حدث لنظام صدام حسين، وليس لمجرد الإعتراف بأهمية ايران الإستراتيجية في منطقة الخليج.. وبالرغم من أن المشروع الإيراني، على الأقل حسبما يصرح الإيرانيون أنفسهم، قد وضع في مواجهة احتمالات هجمات أميركية - غربية - اسرائيلية، وهي احتمالات تتكثف من خلال التهديدات الصريحة والمباشرة عبر التصريحات وغيرها، فإن الرأي السعودي، بل الخليجي بشكل عام قائم على قاعدتين أساسيتين:
الأولى/ رفض أي مشروع نووي ايراني، سلمي أم عسكري.
الثانية/ رفض أي حرب أميركية جديدة في الخليج (أي ضد ايران).
القاعدة الأولى أوضحنا متبنياتها ودوافعها، في حال كان المشروع الإيراني يميل الى الاستخدام العسكري.
اما في حال كان المشروع سلمياً، فإن الموقف السعودي والخليجي، لا يؤيده، لأن أي مشروع نووي إيراني ولأي غرض كان، يضيف قوة هائلة للدولة الإيرانية، صناعياً وعلمياً وتكنولوجياً، بالنظر الى حقيقة أن هناك مئات الصناعات التي تترتب على المشروع السلمي لانتاج الطاقة النووية عبر تخصيب اليورانيوم. لذا لم يكن عبثاً مثلاً، أن الغرب كان يصرّ على أن توقف إيران (أبحاثها) النووية لمدة (عشرين عاماً قادمة)!
ولكن ما هي المبررات؟
الغربيون لا يحتاجون الى مبررات. (عضلات) الأميركيين هي المبرر، سواء خرقت ايران بنود معاهدة منع الانتشار للسلاح النووي أم لم تفعل (وحتى الآن لا أحد يقول أنها خرقت)! كل ما في الأمر، يقول الغربيون، أن هناك خشية من أن ايران ستخرق في المستقبل، وأن النظام في ايران غير موثوق به.
أما مبرر السعودية ودول الخليج، التي تتناغم سياساتها مع الولايات المتحدة، فقائمة على حجتين: أحدهما غربية المصنع اي مستوحاة من الغرب، وهي القول بأنه رغم أن ايران وحسب معاهدة منع انتشار السلاح النووي يحق لها (تخصيب اليورانيوم) لأغراض سلمية، إلا أن إيران (لا تحتاج) الى الطاقة النووية، لأنها تمتلك من الناحية الفعلية (الآن) الغاز والنفط. والحجة الأخرى لها صدى أقوى، وتعتمد على الخوف (المشروع) من أن تكون المفاعلات النووية الإيرانية (بالرغم من أنها لم تبدأ حتى الآن بانتاج الطاقة الكهربائية ، بما فيها مفاعل بوشهر الذي بُني في عهد الشاه ، والذي لم يلق معارضة لا من الغرب ولا من دول الخليج) غير محكمة البناء والإدارة، الأمر الذي قد يؤدي الى (تسرب نووي) يهدد القاطنين على الضفة الأخرى من الخليج العربي، كما حدث مع (تشرنوبل).
والواضح أن ايران المشغولة بصراعها السياسي مع الغرب، لم تلتفت الى تطمين الدول المجاورة في الخليج، وبينها السعودية بما فيه الكفاية، فالقضية المستحكمة هي بينها وبين الدول الغربية اضافة الى روسيا والصين. ولذا اكتفى المسؤولون الإيرانيون بالتصريحات المطمئنة، وهي بكل الأحوال لم تكن كافية لبعث الإطمئنان في نفوس تحمل إرثاً تاريخياً من القلق المشروع وغير المشروع من إيران كدولة مؤدلجة. يوم اعلان نجاح تخصيب اليورانيوم،


بندر وسيرغي لافروف

أي يوم ٤/١١، كان علي لاريجاني، الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، في زيارة للرياض، التقى خلالها بالملك السعودي والمسؤولين الآخرين بغية تطمينهم. وفي العموم كانت زيارات المسؤولين الإيرانيين قليلة الى دول الخليج والى السعودية التي شهدت علاقاتها تحسناً مع طهران عدا في السنة الأخيرة بسبب النفوذ الإيراني في العراق. وقد سبق لوزير الخارجية الإيراني ان زار بعض دول الخليج في مارس الماضي بغية تهدئة مخاوفها، ولكن دونما جدوى كثيرة.

السعودية وقلق الحرب على إيران

اين يكمن قلق دول الخليج الحقيقي؟

بنظر دول الخليج، فإن الأسوأ من امتلاك ايران التقنية النووية (حتى بشكلها السلمي) هو قيام حرب أميركية غربية جديدة ضد ايران.

لماذا؟

يدرك السعوديون، كما معظم دول العالم، أن أميركا لا تستطيع أن تشعل حرباً أخرى ضد طهران وتطيح بالنظام فيها، طالما هي حائصة في المستنقع العراقي، ولكنها تستطيع القيام بأمرين: السماح لاسرائيل بان تهاجم المنشآت النووية الإيرانية، أو أن تقوم هي بشن هجمات مباشرة على نحو (٢٠٠) منشأة اقتصادية ونووية ايرانية. ليست هذه هي المشكلة، فطالما أن النظام الإيراني قادر على الرد فهو يرد بشتى الوسائل، وقد جرّب الغرب ودول الخليج، المدى الذي يمكن لإيران الوصول اليه. فهي قد مارست تلغيم الخليج، وعرف حرب الناقلات، ولديها صواريخ تضرب بعيداً، وتستطيع نظرياً اغلاق مضيق هرمز، كما تستطيع أيضاً أن تغيّر الوضع العراقي الى أسوأ مما هو عليه الآن، حيث يمكن أن تكون القوات الأميركية العالقة في العراق صيداً ثميناً للإيرانيين ولحلفائهم في


المشروع الإيراني النووي في نطنز

العراق. وزيادة على هذا، فإن إيران قد تشعل الجبهة اللبنانية الجنوبية، وقد ترسل صواريخها الى اسرائيل، وقد تقوم بحملة اغتيالات في كل مكان تصل اليه يدها أو يد أجهزة استخباراتها. وقد تعمد الى توتير الوضع في أفغانستان اضافة الى الخليج. فضلاً عن أن مهاجمة ايران، وبعد ان اهتدت الى طريق التكنولوجيا النووية، سيؤدي الى تسريعها في


المفاعل النووي الإيراني في بوشهر

صناعة القنبلة النووية، ويبدو أن الإيرانيين قادرين على اختزال الزمن الى أقصر ما يمكن (سنة أو سنتين، حسب بعض الآراء الإستراتيجية).

الحل الآخر، هو سياسة الحصار الاقتصادي، وهي سياسة متبعة منذ ٢٧ عاماً هي عمر النظام الحالي الذي ورث الشاه. ولكن لكي يكون الحصار ناجعاً، فلا بدّ من مصادرة الأرصدة (وقد سحب الإيرانيون أكثرها من بنوك الغرب كما تفيد بعض التصريحات) ولا بد من أن يشترك الأوروبيون في الحصار، وكذا الصينيون والروس، وهذا غير محتمل، على الأقل بالنسبة للبلدين الأخيرين. العقوبات الذكية او الحصار الذكي قد يشمل النفط، وفي هذه الحالة، فإن اسواق النفط ستشهد ارتفاعاً كبيراً في أسعاره، حتى وإن لم تعمد ايران الى تعويق تصدير النفط الخليجي.

هنا مربط الفرس. فدول الخليج تخشى أن تكون هي المستهدفة من (رد الفعل) الإيراني، حتى وإن لم تقحم نفسها مع السياسة الأميركية، بل حتى لو عارضتها. فعلى الأرجح ستعمد ايران الى إرسال صواريخها للمنشآت النفطية الخليجية عامة (من باب صديق عدوي عدوي)، وستبذل جهداً كبيراً في تلغيم الخليج، وإذا أمكنها الأمر فستغرق بعض ناقلاتها أو ناقلات غيرها في مضيق هرمز، وهنا ستحلّ كارثة على العالم بأجمعه.

السعوديون واعون لما يمكن أن تترتب عليه المواجهة الأميركية ـ الإيرانية، وبالرغم من أن النظام الإيراني ليس أثيراً لديهم ـ كما هو واضح ـ إلا أنهم لا يتمنون وقوع هذه المواجهة. وقد افادت الأنباء عن لقاءات ايرانية سعودية (كشف عنها الأمير تركي الفيصل، السفير السعودي في واشنطن) غرضها منع انهيار المباحثات بين ايران ومعارضيها الغربيين بشأن ملفها النووي، حتى لا تصل الأمور الى المواجهة التي سيتضرر منها الجميع (ايران والغرب والخليجيون بل والعالم).

وقد دخل على خط التهدئة، الأمير بندر بن سلطان، رئيس مجلس الأمن الوطني السعودي، فغادر الى موسكو والتقى بوزير الخارجية الروسي لحثه على الوقوف أمام واشنطن لئلا تتخذ موقفاً متهوّراً يشعل منطقة الخليج ويأتي بكوارث على مواطنيه. وهذا موقف استراتيجي سعودي، هدفه الدفاع عن النفس قبل الدفاع عن ايران أو مشروعها النووي، وعليها في المقابل أن تدفع ثمناً لموسكو ـ إزاء موقفها ـ حين يزور وزير الخارجية الروسي الرياض في الشهر القادم.

أما وقد أعلنت ايران عن نجاحها في تخصيب اليورانيوم، فإن المسألة قد حُسمت بأحد اتجاهين:

– العمل العسكري المباشر من قبل اميركا او اسرائيل او كليهما. وقد عرفنا تبعات الأمر. ومن المحتمل أن تفرط العنجهية الأميركية في تقديرات قواها الذاتية فتقوم بعمل عسكري ضد ايران.

ـ وإما احتواء الموقف الإيراني بطريقة سلمية، عبر إقرار حقها في التخصيب للأغراض المدنية، على أن تكون هناك رقابة مكثفة ومباشرة من وكالة الطاقة ومن دول غربية، وحتى من دول الجوار الخليجي إن أرادت، أو كان بإمكانها إمكانات المراقبة.

ومع ان هناك من يعتقد بأن باب الشرّ قد فُتح، وأن المواجهة العسكرية حتمية.. الا ان الخيار الثاني هو الأقرب الى التحقّق، مع مزيج من قرار يقضي بمعاقبة ايران اقتصاديا أو حصارها، ولكن ضمن حدّ أدنى لا يؤثر على المعادلة، بل يحفظ ماء الوجه لأميركا والغرب، وبحيث لا تتأثر إيران منه كثيراً، فيدفعها الى التصعيد ورفض الرقابة وتوسيع رقعة المواجهة لتمتد من العراق الى الخليج الى لبنان وأفغانستان.

أما السعودية ودول الخليج، فهي في داخلها تشعر بواجب الإحترام للإرادة الإيرانية التي استطاعت تحقيق مبتغاها، ولكنها في الوقت نفسه تشعر ببعض القلق وربما الأسى من أن طرفاً غير أثير أو منافس قد سبقها الى فعل لا تستطيع هي ولا كل الدول العربية القيام بمثله.

علّة في المجتمع، أم تشابك في الولاءات، أم قهر من السلطات؟

وصَمَتَ الإصلاحيون!

يبدو وكأن حركة الإصلاح قد خمدت بسرعة غريبة. فمئات الاشخاص من مختلف الإتجاهات الذين وقعوا على عرائض الإصلاح لا تسمع لهم صوت ولا كلمة.

ما الذي حدث؟

كل ما حدث ان اعتقل أقل من عشرة افراد بينهم بعض انشط الفعاليات السياسية، وهم من بقوا في السجن حتى صيف العام الماضي. اضافة الى طرد مجموعة من أعمالها وسحب جوازات سفر مجموعة اخرى من الإصلاحيين وحتى المواطنين العاديين.

فهل ما قامت به سلطة نايف من قمع، يبرر هذا الصمت؟

هل حركة الإصلاح، ومثقفو البلاد بمثل هذه النرجسية؟

وهل توقعوا أن يأتيهم الإصلاح والتغيير بلا ثمن (اعتقال وفصل من الأعمال ومنع من السفر)؟

هل نحن أمام مجتمع معوّق الى حدّ ان وزير الداخلية بمجرد أن يرفع عصا تصمت الألسن وتنزف الأقلام حبرها؟

ام أن مبرر الإصلاح في الأصل غير مكين بدليل أن الجميع غير مستعد للتضحية بما بين يديه من أجل أمرٍ يعتقد أنه أفضل في المستقبل؟

لا يمكن القبول بأن قمع الدولة (وحده) مبرراً كافياً ومفسراً كاملاً لصمت دعاة الإصلاح المريع. فالسعودية رغم قمعها ليست الأعنف بين الدول العربية، وهناك دول خليجية وعربية مارست القمع بأكثر من السعودية ولكن إصلاحييها أدهشونا بحركتهم المثابرة، ومثال ذلك ما نشهده في سوريا، ومصر وحتى تونس والبحرين (ما قبل الإصلاحات). فأين مثقفونا وإصلاحيونا من نظرائهم في الأوطان العربية الأخرى؟

ولا يمكن القول أيضاً ان السعودية لا تعاني من مشاكل، وبالتالي لا مبرر لحركة الإصلاح. فالفقر والبطالة والفساد وقمع الحريات والتسلط باسم الدين والحق التاريخي وغيره كلها مبررات، خاصة في بلد نفطي غني، وفي بلد متعدد الثقافات والهويات. وما تطفح به الجرائد السعودية نفسها من مشاكل يكفي من الناحية النظرية لإشعال ثورة، وليس فقط الإحتجاج!

هنا محاولة لقراءة أسباب ضعف الحراك السياسي في السعودية عامة، والنشاط الاصلاحي بصورة خاصة:

١ ـ انقسام المجتمع بصورة حادة على اسس مناطقية ومذهبية تجعل من قيام حركة اصلاحية واحدة امراً صعباً. ولقد لعبت هذه الإنقسامات دوراً كبيراً في تعويق الحراك الإصلاحي خلال الأعوام الماضية، إذ ان بعض الإصلاحيين بدا وكأنهم يغلبون انتماءاتهم الدينية والمناطقية، بحيث ظهر من يعتقد بأن الإصلاح سيكون على حساب فئة (نجدية) لصالح فئات أخرى. ولذا صارت مصالح النخبة النجدية ـ دينية وبيروقراطية ـ مرتبطة بمصالح آل سعود على قاعدة الخلفيات الاجتماعية والثقافية وعلى قاعدة المصالح. حتى وإن كانت مصالح معظم فئات الشعب بمن فيهم النجديون العاديون تنسجم مع المقولات التي جاء بها الإصلاحيون.

٢ ـ ان كثيراً ممن وقعوا على العرائض، كانوا يعملون في جهاز الدولة، بمعنى أن الدولة استطاعت ومنذ زمن استيعابهم، ومثل هؤلاء يضعون حدوداً للمدى الذي يمكن لهم الذهاب فيه بشأن دفع ثمن الإصلاح. فهم وإن كانوا يؤيدونه ولهم الإستعداد للدفاع عنه، فإن هناك حدوداً معيّنة لذلك، اي انهم معه طالما أن الإصلاح لا يكلفهم شيئاً كثيراً، بل أن بعضهم ركب موج الإصلاح على أمل أن لا هناك من ضرر (خاصة بعد لقاء عبد الله ـ الملك الحالي ـ مع قادة عريضة الرؤية) وأن قدراً من المكاسب للذات والمجتمع أمر ممكن.

٣ ـ قدرة العائلة المالكة في التلاعب بالقوى الاصلاحية وبالمجتمع كبيرة. فبيدها الورقة الدينية ـ الوهابية، التي رغم تمزق الكثير منها إلا أنها لاعب قوي على مستوى جهاز الدولة وعلى مستوى البيئة النجدية التي تشكل العمود الفقري في الولاء للعائلة المالكة. ومازال بيد العائلة المالكة إمكانات مادية ضخمة تصبها آناً وتمنعها آناً ضمن سياساتها للإلتفاف على المطالب الجماهيرية كلما اقتربت من التبلور. حدث هذا في التسعينيات من القرن الماضي وحدث قبل سنتين أيضاً. ثم ان العائلة المالكة تمتلك خبرة لا بأس بها في تشتيت قوى المجتمع، ولعلنا هنا نشير الى اللقاءات التي كان يجريها الأمراء مع هذا الإصلاحي (منفرداً) او ذاك بغية ثنيه او التاثير على مواقفه. وزيادة على ذلك كان عنصر القوة حاضراً والتهديد ممارساً بصورة علنية في كثير من الأحيان.

٤ ـ وينبغي التذكر ان الشعب السعودي لا يمتلك ثقافة معارضة سياسية، بعضها راجع الى جذور تاريخية، فقيام الدولة لم يتم إلا على أنهار من الدماء وعلى التهجير، ولازالت الذاكرة حاضرة خائفة مرتعبة رغم تغير الظروف، وآل سعود لازالوا ينفخون في ذلك التاريخ، وفي ذلك السيف الذي لازال بيدهم، رغم انهم من الناحية الواقعية ضعفاء جداً. ولعلنا نضيف هنا أن أغلب الحركات المعارضة كانت راديكالية تستهدف القضاء على النظام، ولم تجرب الإصلاح من داخله، وقد بدا ان هذا ممكناً، ولكن الأيام أثبتت أن صعوبته لا تقل عن صعوبة اسقاط النظام نفسه.

٥ ـ ان اخطاء الإصلاحيين كانت كثيرة، وكانوا في الوقت الذي يريدون الإصلاح، يعترفون بشرعية النظام (القيادة) والحال إن الوضع لا يستقيم. فإما ان العائلة المالكة غير شرعية وبالتالي يجري عليها الإصلاح أو حتى التغيير، أو أنها شرعية (باي منطق؟) وبالتالي فإن فضيلة الصمت هي النتيجة. والشرعية غير معرفة لديهم، فهل هي شرعية دينية ام شرعية تاريخية أم شرعية سياسية أم شرعية انجاز ام كل ذلك؟ نعم في الوقت الذي كانوا لا يريدون الظهور بمظهر اسقاط النظام، فإن التأكيد على الولاء للقيادة من قبل الإصلاحيين كان خطأً. كان يجب ان يقولوا بأن الولاء مشروط بإعطاء المواطنين حقهم في المشاركة السياسية وتقرير المصير. انه مشروط بالإصلاح الإقتصادي والسياسي وإقامة مؤسسات الدولة الدستورية. في غير هذه الحالة يصبح الإعتراف بالعائلة المالكة كقيادة شرعية، سلاحاً بيدها تضربهم به. وهو ما حدث.

المنابع الفكرية للتطرف

متى يصبح الفكر السلفي المتشدد مادة حوارية؟

منذ أطلقت مبادرة الحوار الوطني في الخامس من أغسطس ٢٠٠٣ أغفلت قائمة الموضوعات المدرجة على جدول أعمال الحوارات موضوع المنابع الفكرية للتطرف، فيما صُبَّ إهتمام كثيف على مخرجات التطرف، كما أغفلت روابط المجتمع المحكومة برؤى فكرية وأيديولوجية صارمة فيما شحذ المشاركون في الحوار أذهانهم في صياغة رؤية متقدمة حول العلاقة مع الآخر - الخارجي، الذي ألحقت به مواقف أيديولوجية في الداخل أضراراً فادحة، وتسببت في تخريب علاقات الدولة بعدد كبير من دول العالم.

لم يشأ الرعاة الرسميون للحوار الوطني الاقتراب من بؤرة التوتر الحقيقية، لأن ذلك يتطلب نبشاً لمحتوياتها الفكرية، وقد تفضي الى إدخال كافة الاطراف المتورِّطة في تغذية وتمويل وحماية هذه البؤرة المتفجِّرة في أتون المسائلة والمحاسبة. لقد أريد للأوضاع أن تستمر كما هي، وحافظ كل على موقعه ودوره ونشاطيته، فلم يمسّ الغشاء الفكري الذي يحيط بنواة التطرف، فيما كان الاصرار يتنامى من قبل الأمراء على قذف لهب النار الى الخارج أفراداً وأفكاراً، لاخلاء الساحة من تهمة سنّ واستنان سنة التطرف التي تحمل بصمة سعودية خالصة.

جرى إستبدال وجوه بوجوه، في عملية تشبه تبادل أدوار، فمن كان بالامس مسؤولاً عن ترويج أفكار في التشدد والكراهية، يلبس اليوم رداء الاعتدال، وإن لم يعنه ثقل المعتنق الايديولوجي على إتقان دور جديد ليس مقتنعاً به، وليس مؤصّلاً في بنيته العقدية، ولذلك ما إن يؤسس لفكرة في الاعتدال حتى ينقلب عليها بعشر أمثالها في التشدد. لقد خذل الوجوه الجديدة هذا الهجين الايديولوجي، الذي يصعب أن ينتج فكراً منتظماً على سمت عقدي موحّد، وذلك أخفقت هذه الوجوه من صناعة تيار الاعتدال المرجو خروجه من تربة التطرف، فمنهجية الاعتدال لم ترسم خطوطها في الخارطة الذهنية للمجتمع الخاضع تحت تأثير الاشعاعات الدعوية والمنبعثة من المنابر وحلقات الدرس الديني والخطب الصحوية والحوارات الفكرية.

إن ما كان منتظراً من راعي الحوار الوطني ليس مقاربات سطحية أو انتقائية تبتغي تسوية مشكلات الدولة مع الخارج، فيما تبقى الأزمات المسؤولة عن تفجير المجتمع من داخله مسكوتاً عنها. لقد ضربت العائلة المالكة صفحاً عن المصادر الفكرية للتوتر السياسي والعامل الايديولوجي لقسمة المجتمع لادراكها بأن نقاشاً من هذا القبيل يؤول الى فتح ملفات أخرى لا تخرج العائلة منها معافاة، وكأنها برعاية هذا النقاش تعين خصومها على نفسها، فهكذا تنظر الى مراجعة الايديولوجية المشرعنة لسلطانها.

ما جرى في معرض الكتاب في الرياض كان تمظهراً لتوتر إجتماعي شديد أخذ طابعاً فكرياً، وبدت النزعة الاقتلاعية ضارية في طريقة التداول الثقافي الذي لم يحسمه سوى بلوغ المجاذبة الايديولوجية شكلاً عصابياً كادت أن تصل الى حد اصطكاك الاسنّة والرماح، بين فريقين ثقافيين يتصارعان على حصص سياسية واجتماعية.

لم تشهد البلاد حتى اليوم حواراً فكرياً يعكس تداعياته في الشارع، وتتنزل آثاره من القمم الى القواعد، فكما تخبرنا تجارب الحوار الوطني، فإن موضوعات الحوار تخضع للتداول خلال فترة إنعقاد المؤتمر ثم تلفظ أنفاسها مع نهاية آخر كلمة في البيان الختامي.

لم ترسِ باخرة الحوار على شاطيء الوطن، فقد ظلت تبحر بعيدة عن همومه، ولم تلامس قضاياه الجوهرية، وقد حاول بعض القراصنة اختطاف الحوار الى مكان بعيد عن هذا الوطن الذي يشهد خضّات فكرية عنيفة، رغم تزايد النداءات المنبعثة من كل الزوايا من أجل البدء من نقطة صحيحة في الحوار، والاقتراب من مدخل الأزمة لتشخيص الواقع المأزوم.

يعمد الأمراء الى تجزئة مشكلة العنف، بحسب درجات الخطر على السلطة، وبالتالي فإن الفكر يغدو متطرفاً إذا ما أصبح خطراً على السلطة، أما أن يصيب الفكر نفسه فئات المجتمع ويفضي الى تقسيمها فإنه يصبح مطلوباً أحياناً لأنه يسدي خدمة جليلة للسلطة في وحدتها وتماسكها. ليس مستغرباً أن يفصل الفكر المتطرف الذي ينهل منه العنفي عملاً والعنفي قولاً ودعوة الى جماعات متباينة، فتصبح الجماعات المسلّحة (فئة ضالّة) بينما يصبح طيف من الجماعات السلفية المتشددة مجتمع الوسطية والاعتدال وإن كانت المرجعية الفكرية لهؤلاء وهؤلاء واحدة. سبب هذه القسمة، أن الجماعات المسلّحة إستعانت بهذه المرجعية على محاربة الدولة، بينما الجماعات الاخرى آثرت الافادة من الدولة في الترويج لأفكارها وفي الوقت نفسه تعضيد بنيان الدولة.

خلال الشهرين الماضيين، بدأت الدعوات تنطلق مجدداً من قبل ضحايا التطرف الفكري من أجل وضع إستراتيجية مواجهة حقيقية تتجاوز حدود المعالجات المبتورة للمتبنيات الايديولوجية لجماعات العنف المسلّح، والانتقال الى خيار المعالجة الشاملة، المتصّلة بالفكر التكفيري وليس الجماعات التكفيرية، بمعنى الوصول الى المنابع الفكرية التي تزوّد الأفراد والجماعات برؤى متشددة.

حملت مقالة الكاتب قينان الغامدي

قضايا الحجاز

في صحيفة الوطن في الثاني من أبريل بعنوان (اقتنعنا، وتصارحنا، والخطر مستمر: متى نواجه الفكر التكفيري؟) دعوة صريحة (إلى ضرورة تشخيص الفكر الديني المتشدد التكفيري ومحاورة معتنقيه بهدف إعادتهم إلى جادة الصواب، قبل أن يتجاوزوا مرحلة الفكر التكفيري إلى مرحلة الفعل الإرهابي، سيما بعد أن وصلنا إلى قناعة بأن المكافحة الأمنية للإرهاب على الرغم من نجاحاتها لا تكفي، إذ لا بد من مواجهة الفكر بالفكر). وهنا يلفت الغامدي الى الخطأ الفادح الذي وقعت فيه الدولة باعتمادها وسيلة أمنية لتسوية إشكالة ضاربة جذورها في الفكر المؤسس والمشرعن لظاهرة العنف.

جاءت هذه الدعوة المتجددة بعد مقال نشره رئيس تحرير صحيفة الرياض تركي السديري في ٢٧ مارس تحت عنوان (ناقشوه وعالجوه..) حيث تحدث عن محتويات خطبة إمام مسجد في شرقي مدينة الرياض، حيث طالب بمقاطعة الصحف السعودية وبخاصة (الرياض) والوطن (أو كما يسميها الوثن)، و(الشرق الاوسط)، قياساً على وإلحاقاً بمقاطعة البضائع الدنماركية. يقول السديري (فهل من المعقول أن يتساوى الإعلام السعودي والإعلام الدنماركي فيطلب أحدهم مقاطعته كما حدث مع البضائع الدنماركية؟) ويتساءل (كيف يتجرأ رجل على استخدام المسجد وتجمع الناس للعبادة كي يتعرض لأشخاص محترمين بعبارات في منتهى الإسفاف والدونية.. عبارات لا أتجرأ على كتابتها، فهي غاية في البذاءة). وينبّه السديري الى تداعيات مثل هذه الدعوات ويقول (أخشى ما أخشاه أن تؤدي بالرجل حالته التي هو عليها من فهم خاطئ للأمور، والمنحى المتهور في تصرفاته لأن يكون وسيلة إيذاء لغيره.. ليس بما يلفظ به من قول، ولكن بممارسة الجريمة إن لم تكن بيده فبيد مراهق يستمع إليه أكثر من مرة). من الجدير بالاشارة أن إمام المسجد هذا هو نفسه الذي قاد حملة الاثارة في ندوة الاعلام التي عقدت على هامش معرض الكتاب. يقول السديري بناء على معلومات من حضر المسجد (فهو الشخص ذاته الذي حاول الإثارة في ندوة الإعلام، وتابعني حتى الباب الخارجي محاولاً استفزازي متباهياً أمامي أنه أحد كتاب الساحات).

يتذكر قينان الغامدي قصة مماثلة وقعت في أحد مساجد جدة قبل عشر سنوات حيث خصص الامام خطبته بحسب قوله (للهجوم اللاذع والتكفير والتفسيق لصحيفة عكاظ التي كنت أيامها نائباً لرئيس تحريرها، وكنت والدكتور هاشم عبده هاشم رئيس التحرير نؤدي صلاة الجمعة أسبوعيا في ذات المسجد، وقد تكرر هذا الهجوم أكثر من مرة، لكننا كنا في الصحيفة نتوخى الحذر من الإشارة لهذا الأمر، ونلتزم بعدم المساس بـ«الصحوة المباركة» التي لم تتوقف تعبئتها لأنفس وعقول الشباب الأغرار، وعندما صدرت «الوطن» منذ نحو ست سنوات كنت أصلي الجمعة في بعض مساجد «أبها أو جدة» وكنت أسمع أحيانا كثيرة، وأنا رئيس تحرير الصحيفة نفس اللغة وذات الهجوم والتكفير والتفسيق).

ويلفت الغامدي الى حالة الصمت المطبق التي كانت سائدة حيال تجاوزات رجال الصحوة (ولكن لا أحد كان يجرؤ على رفع إصبعه إعلاميا للإشارة إلى هذا الخطر المتغلغل في المجتمع، وهو خطر لم يكن وليدا قبل أكثر من عشر سنوات يوم الهجوم على «عكاظ» وكتابها ومحرريها، ولا يوم صدرت «الوطن» قبل بضع سنوات، الخطر بدأ بعد «زلزال جهيمان» كما قال الزميل الكاتب محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ..حيث «جعل ذلك الزلزال الحكومة تقدم الكثير من التنازلات للمتطرفين، وتعمل على مسايرتهم ومجاملتهم، وتحقق قدرا كبيرا من مطالبهم، الأمر الذي انعكس سلبا على مسيرتنا التنموية»، وأفضى – فيما أفضى – إلى كوارث الإرهاب التي أيقظتنا على غفلتنا التي امتدت نحو ثلاثة عقود).

ضربت العائلة المالكة صفحاً عن المصادر الفكرية للعنف لادراكها بأن مراجعته تؤول الى تهديم أيديولوجية الدولة

ومع إن البداية الحقيقية ترتد الى ماقبل زلزال جهيمان بعقود طويلة، بل الى نشأة الدولة التي قامت على أساس أيديولوجية اقتلاعية تكفيرية أباحت غزو الآخر وقتله واحتلال أرضه، وهو ما تحاول العائلة المالكة إغفاله لأنه يرتطم بأسس مشروعية الدولة وأيديولوجيتها المشرعنة لقيامها واستمرارها.

وتيرة الانتقادات للفكر المتطرف المشفوعة بدعوات للمراجعة الجادة أخذت بعداً واسعاً، وأصبحت المطالبة بتفكيك الفكر شرطاً للانفراج الداخلي ونزع فتيل أزمة خطيرة قد تنعكس في وقت ما في هيئة مواجهات عنفية أشد خطورة مما هي عليه الآن.

يتبنى كثيرون خيار الفضح، بالطريقة التي تبناها يوسف أبا الخيل في مقالة نشرت في صحيفة الرياض في ٢٣ مارس الماضي تحت عنوان (جواز الكذب نصرة للدين: أصل من أصول الخطاب المتشدد)، ويدعو الى تصميم إستراتيجية لفضح منهجية المتطرفين الذين (لا يتورعون في سبيل التوطئة لإقصاء خصومهم عن إلصاق أبشع وأسوأ التهم، بل وأقبح الصفات التي تنأى الحيوانات بغريزتها عن أن تكون أهلاً لاتصافها بها ناهيك عن الإنسان الذي كرمه الله وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، يحدث كل هذا من تلك الشرذمة سواء في كهوف الظلام الإنترنتية أو في مجالسهم الخاصة التي تنضح بمفردات الكذب والنميمة والفحش، في الوقت الذين يدَّعون فيه أنهم موكلون من رب العالمين للذب عن الدين الذي يحصرونه بتخريجاتهم وتأويلاتهم الخاصة التي يُكْرِهون الآخرين على تمثلها والأخذ بها وإلا أصبحوا هدفاً لكل ما يرونه مبطلاً لأية توجهات أو رؤى أخرى مخالفة لتوجهاتهم بما فيها القذف في العرض والاتهام في الأخلاق والرمي بالتحلل من أبسط صفات الرجولة).

وينقل الزامل تجربة شخصية له مع هذا الخطاب بقوله: (ولأنني أعرف خبايا هذا الخطاب جيداً جراء انغماسي في دهاليزه لأكثر من عشر سنوات خبرت خلالها وسائله وأهدافه وأيديولوجياته جيداً، فسأحاول اليوم أن أتبرع بالجواب عن تساؤل الأستاذ السديري نيابة عن ممثلي ذلك الخطاب، لأبين إلى أي مدى يمكن أن تصل نرجسية وانتهازية من يقتاتون على مخرجاته في سبيل الوصول إلى أهدافهم ولو على حساب الانسلاخ من مبادئ الدين نفسه الذي يدَّعون زوراً وبهتاناً الذب عن حياضه، فمن المبادئ الأساسية التي يؤمن ممثلو ذلك الخطاب ما

يعبرون عنه بجواز الكذب نصرة للدين كما يقولون، ومن أجل شرعنة هذا المبدأ الخطير يقومون بحشد عدد هائل من الأحاديث والآثار التي يقومون بعسف مضامينها بتقويلها ما لم تقله وتحميلها ما لا تحتمله من الادعاء بجواز الكذب وأحياناً وجوبه نصرة لمبادئهم وقهراً لخصومهم، وهذا الكذب الذي يعتمدون عليه في إدانة المخالف لا تحده حدود أخلاقية أو إدانة من ضمير أو مراعاة لإنسانية، بل يمكن أن يشمل كافة الأمور التي يمكن أن تشوه صورة المخالف وتدينه في أعين الناس).

وينقل الزامل شاهداً على إتكاء هذا الخطاب على الكذب من خلال سؤال تم توجيهه لأحد أقطاب الفكر المتشدد وكان على النحو التالي: فضيلة الشيخ (فلان بن فلان) "هل يجوز لي أن أقول سوءاً عن شخص مما هو وأمثاله واقعون فيه وأنا أعرف أنه فاسق أو عدوٌ للدين؟ وهل يجوز لي بالمقابل أن أقول خيراً عن رجل صالح من أهل الدين والتقوى والجهاد لتخليصه من مشكلة تضره بذاته أو بسمعة الصحوة؟" وبعد أن حشد القطب المعني بالسؤال عدداً من الأدلة والآثار لبيان جواز بل وفضل الكذب لمحاربة أهل الفسق كما يقول، خلص إلى الجواب المقصود لذاته من السؤال بل والمتضمن في ذات السؤال، فعندما إستعرض جواز مخادعة العدو في الحرب مستدلاً بحديث جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه (الحرب خدعة) أفتى بأنه يدخل في ذلك "السعي للفتك برأس من رؤوس الكفر والإلحاد والعلمنة والفسق المحادين لله ورسوله". ويعلّق الزامل (ونحن نعرف من استقراء أدبيات الخطاب المتطرف أن ممثليه يكذبون على خصومهم لأنهم يعتبرونهم في أحسن الأحوال رؤوساً أو أذناباً للعلمنة كما يصرحون أحياناً ويلمحون أحياناً أخرى، وفي سياق الحرب وخدعها ذكر بما سماه «حرب الأفكار» حين أشار إلى أن الحرب فيها أشد من حرب القتال، واستدل لهذا الأمر بحديث أنس الذي رواه الإمام أحمد في المسند في قصة الحجاج بن علاط عندما قدم مكة زمن فتح خيبر وكان له فيها أهل ومال فكذب على أهل مكة بادعائه أن الرسول والصحابة قد هزموا وأنه قدم ليأخذ ماله ليشتري مما استُبيح من أموالهم، ومن هذا الخبر استدل (بقسر معناه) على جواز الكذب "لإظهار أهل البدع والشركيات وأهل الفرق الباطلة من روافض وزنادقة وأهل علمنة وحداثة وغيرهم بمظهرهم المخزي لكي لا يغتر بهم عوام المسلمين"!!، و ضابط جواز الكذب أو وجوبه عنده كما عند كافة ممثلي ذلك الخطاب أن "كل مقصود محمود لا يمكن التوصل إليه إلا بالكذب فهو مباح إن كان المقصود مباحا، وإن كان واجباً فالكذب واجب!" وهل هناك شيء أوجب في نظرهم من محاربة من يصفونهم بأهل العلمنة والحداثة وحرية الأفكار؟).

وكان عدد من المعلمين وخبراء التعليم قد طالبوا في ١٢ مارس الماضي بمناقشة ملف التطرف في المدارس والمناهج ضمن الحوار الوطني القادم. وقال بعض المعلمين بأن أضراراً فادحة أصابتهم من قبل المتطرفين، وقال أحدهم بأنه عانى من تجربة مريرة مع بعض زملائه من الذين يدعون الى التطرف. ويصف ذلك المعلم بحسب صحيفة الوطن ما أصابه بالقول (عانيت كثيراً من هذا الخطر بحكم

يعمد الأمراء الى تجزئة مشكلة العنف، بحسب درجات خطره عليهم، فالفكر يغدو متطرفاً فحسب إذا ما أصبح خطراً على السلطة

عملي كرائد للنشاط بالمدرسة التي أعمل بها حيث حملت على عاتقي مهمة توعية الطلاب بخطر الإرهاب وبيان أفكار الفئة الضالة، وقد عملت جاهداً على التحذير من خطر الغلو في الدين والتطرف والإرهاب من خلال الطابور الصباحي والإذاعة المدرسية وحصص النشاط ودروس التربية الوطنية، وهذا أثار بعض المعلمين المتشددين فبدأوا يؤلبون الطلاب وأولياء الأمور ضدي ويكيدون لي المكائد).

ونقلت عن آخر قوله (بعض المتطرفين صدرت منهم أشياء لا يمكن تصديقها، منها تسمية مادة التربية الوطنية بـ (الوثنية)، ومنها الإشادة بمطلوبين أمنياً. وقد استمالوا مجموعة من الطلاب وصاروا يذهبون بهم إلى الاستراحات. ولأني وقفت في وجوههم فقد وقفوا ضدي بكل ما يستطيعون ودفعوا عدداً من الطلبة ضدي واتهموني بموالاة الكفار والاستهزاء بالدين والدعوة إلى تحرير المرأة والثناء على أمريكا وتعلم السحر وقراءة الإنجيل وغيرها من الاتهامات).

وأوردت الصحيفة عن معلّم آخر أن عداوة المتشددين من زملائه له قادته إلى السجن، حيث وقف ضده مُدرِّس متشدد يشرف على النشاط، وجماعة التوعية الإسلامية في المدرسة. ويقول المعلم (م، س): (كنت أحضّر الماجستير، في اللغة العربية وبلغ بعض المعلمين المتشددين أنّ رسالتي كانت عن طه حسين الذي يعتبره بعضهم كافراً، والمشرف الأكاديمي على الرسالة هو الدكتورعبدالله الغذامي الذي يكفِّره بعض المتشددين أيضاً. وكانت هاتان المعلومتان كافيتين لرسم صورة سلبية عني).

ويردف (م، س): (لذا كنت تحت المراقبة في كل تصرفاتي وأقوالي بهدف التثبّت من "عقيدتي"، وهي طريقة متّبعة لدى المدرسين المتشددين في معظم مدارس الرياض وتمارس ضد أي معلم جديد. ومن خلال المراقبة تم تكليف طلاب في الفصول التي أدرسها لكي ينقلوا كل ما أقوله لهم في الصف. وقام المدرس المتشدد باستدعاء بعض أولياء الأمور المتدينين! وأبلغهم بأني أبيح للطلاب الزنا واللواط، والعياذ بالله، وغيرها من المزاعم التي لا يصدقها العقل).

قصة أخرى مشابهة ذكرتها الصحيفة لمعاناة المعلم عبدالله أحمد الصميلي الذي حمل على عاتقه مسؤولية وطنية وهو يدرس في قريته الصغيرة "ديحمة" في ثانوية ومتوسطة هذه القرية، حيث يسرد معاناته قائلا: كدت أنجرف وراء أفكار وتيار فئة التكفير نظرا لسلطتهم واستغلالهم جميع المنابر التعليمية والدعوية وتوجيهها لخدمة أهدافهم وبث الفرقة.

ماسبق يمثل طرفاً من تشخيص أزمة ذات أبعاد متنوعة يتداخل فيها الفكري بالاجتماعي بالسياسي، وتتطلب مقاربات عميقة وجادة ومباشرة. لقد اعتادت الدولة على إجتزاء المشكلة وتبعاً له خرجت الحلول مجتزئة، وستبقى المشكلة قائمة طالما لم يقرر رعاة الحوار وضع الفكر السلفي المتشدد بكامل حمولته تحت الضوء وعلى طاولة الحوار.

قبل هدم ذاكرتنا الدينية والتاريخية

نحو حملة دولية لحماية الآثار الإسلامية في الحجاز

ما سرّ هذه الحملة المستطيرة التي تصاعدت خلال العامين الماضين من قبل المتشددين لمحو ما تبقى من آثار الاسلام والمعالم التاريخية في المدينتين المقدّستين؟ بالرغم من مزاعم هيئة السياحة الوطنية بحفاظها على الاثار وصونها!

وما سرّ هذا الاغفال مع سبق الاصرار والترّصد من قبل السلطات السعودية في غض الطرف عن معاول المحو الشامل التي تهوي بلا توقف دون رادع من ضمير ديني ولا وازع أخلاقي يحول دون إستمرار هذا العبث الطائش في أقدس بقاع الأرض، تارة تحت ذريعة محاربة البدع وأخرى تحت ذريعة توسعة الحرمين، فهدمت مساجد وأزالت حجرات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وزوجاته وبيوت أهل بيته وصحابته، وخرّبت معالم الرسالة وكأن من إنبروا لهذه المهمة يفتّشون عن أتفه سبب لتحقيق مآرب خاصة وإفراغ نزوة منفلتة من عقالها فيعمدوا الى إجتثاث تاريخ الاسلام من فوق أرض المقدّسات.

وعجبنا من صمت رجال السلطة ممن أسبغوا على أنفسهم شرف خدمة الحرمين الشريفين، وهم يسمعون صرخات الاستنكار تنطلق من أرجاء العالم على ما يقوم به الأوصياء الجدد على الدين، ليهدموا معالمه بحجج جوفاء لم تقرّ الا في أذهانهم. وعجباً من ذلك العناد الذي لا يكترث لصرخات الاحتجاج التي عبّرت عنها أقلام كثيرين في الداخل، وكأن هناك في داخل الحكومة من يوفر لهذه الطغمة المتعنجهة غطاءً قانونياً ويمنحها الاطمئنان لمواصلة منهجها التقويضي لكل أثر ديني ومعلم تاريخي عزيز على المسلمين.

لقد هانت على أهل الحكم عمليات الهدم المتواصلة لآثار المدينتين المقدّستين، فيما أفرطوا حد الاسفاف في رصد وصيانة كل أثر تركه آباؤهم وأجدادهم، حتى صارت زيارة قصر الملك عبد العزيز جزءا من بروتوكول الزائرين من رؤوساء الدول الى هذه البلاد، حيث تخبر مقتنيات القصر عن أن القائمين على تراث الآباء والأجداد قد أجهدوا أنفسهم في جمع وعرض ما صغر وما كبر من مختّصات الملك عبد العزيز بما في ذلك فنجان القهوة ودلالها وحتى السفرة والتنور والفرش والوسادة والخاتم والسيف والدرع، بل لا يكاد المرء يصدّق كيف أتقن القائمون على هذا القصر مهمة جمع أدق التفاصيل المادية وأصغرها شأناً وكأن الزائر للمكان يشعر بأن عبد العزيز مازال حياً بفعل سطوة الحضور الرمزي لتلك الآثار.

يغمر المرء الحزن وهو يعقد مقارنة بين الاهتمام المفرط بآثار عبد العزيز، مصدر فخر العائلة المالكة واعتزازها بمجدها الخاص، والتفريط العابث بآثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار الاسلام الخالدة، مصدر فخر الامة الاسلامية قاطبة. فبينما يبالغ آل سعود في تكريم آبائهم وأجدادهم ببناء المتاحف وترميم القصور القديمة وبناء القرى التراثية لتخليد ماضيهم، نجد تساهلاً يبلغ حد السفه في التعامل مع المعالم التاريخية والآثار الاسلامية والنبوية في مكة والمدينة، **الى حد بات المتشددون يعلنونها صراحة وتعنّتاً بأنهم عازمون على هدم ما بقي من الآثار بما في ذلك غار حراء وقبور الصحابة وآخرها إصدار قرار بإزالة قبر رافع بن رفاعة الزرقي وهو من الانصار البدريين واستشهد في أحد كما سيزال مسجد الكاتبية الأثري بحجة تحسين المنطقة الأثرية بعد أن أزالوا كثيراً من الآثار عن الجدران الداخلية للكعبة المشرّفة وتمتد تلك الآثار والنقوشات الى ما قبل تاريخ الاسلام. وقد ذكرت مصادر مطّلعة بأن تلك الآثار المزالة وبعضها نقوشات مكتوبة بلغات قديمة تعود الى أيام نبي الله ابراهيم حملت على متن قارب في جدة ورميت في أعماق البحر بحضور أحد المشايخ السلفيين المتشددين.**

دارة الملك عبد العزيز حظيت بإهتمام إستثنائي وكادت ـ إن لم يكن بالفعل ـ أن تصبح معلماً مضاهياً لمعلم ديني وتاريخي في المدينتين المقدّستين، وكنا نطمع لو أن أفق الاهتمام شمل المحافظة وصون الاثار الدينية والتاريخية في المدينة ومكة بنفس القدر من الاهتمام الفارط لدى من قام بجمع تراث عبد العزيز!

إن إيغال قوى التشدد المدعومة من قبل الجهات الرسمية في مواصلة هدم وإزالة الآثار الاسلامية والتاريخية يقدّم أكثر من سبب لاطلاق حملة دولية لحماية ما بقي من تلك الآثار، ووضع حد لسفه تلك القوى في إستمرار تصرفاتها المشينة، التي هي موضع إستنكار المسلمين في أرجاء العالم، كما هي موضع دهشة المجتمع الانساني بأسره.

لقد عبّرت أقلام صادقة في الداخل والخارج عن خطورة ذلك المخطط التدميري المتواصل من قبل قوى سلفية متشددة تمنح نفسها سلطة على الدين والتراث وتطلق العنان لنوازع الشر بداخلها تحت مسمى محاربة البدع لتزاول عملية دفن معالم الاسلام التي تربطنا بالماضي المجيد لهذا الدين ومشيديه، وتبقي على الرابطة الروحية حاضرة ونشطة بين أبناء الامة، الذين هم بحاجة الى ما يشد وثاقهم بدينهم وتاريخهم في زمن إجتياح منتجات العولمة والثقافات الحديثة.

إن صمت حكومات عربية وإسلامية إزاء ما يجري من تدمير وهدم للآثار الاسلامية والتاريخية في المدينتين المقدّستين يعدّ قبولاً ضمنياً، أو في أقل تقدير إغفالاً عن موضوع شديد الخطورة كالذي يجري في المدينة ومكة.. فلو كانت تلك الآثار تخصُّ ديانات أخرى لوجدت ذلك الاستنفار العالمي الذي يبتر كل الايدي الممتدة الى أقرب قطعة من تراثها. إن الحكومات والمؤسسات الاسلامية وعلماء الدين في أرجاء العالم مدعوون للتعبير عن إحتجاجهم بكافة أشكال الاحتجاج السلمي للوقف الفوري لعمليات الهدم والازالة للآثار الاسلامية والتاريخية في مكة المكرمة والمدينة المنورة دفاعاً عن دينهم ونبيهم واهل بيته وزوجاته وصحابته الكرام ومن سار على دربهم من اللاحقين، بنفس الحماسة والزخم الاحتجاجي الذي ظهر بعد الاساءة الى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل رسام الكاريكاتور الدنماركي. بل إن إساءة إزالة آثار النبي وأهل بيته وزوجاته وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين أبلغ بأضعاف من الاساءة بكاريكاتور.

(١)

رصد لبقايا عبق تراثنا قبل الزوال

كنوز الكعبة وأسرارها

تختزن الكعبة في داخلها وحولها أسرار لا يوجد مثلها في الأرض. لا يزيد حجمها عن حجرة مكعبة، ما أن تبلغها حتى يخر القلب خاشعا متضرعا، يلفه السكون، فتكاد لا تسمع خفقاته. تتحول العين إلى نبع للدموع فأنت حينئذ في أحب مكان إلى الله ينزل إليه سبعون ألفا من الملائكة يطوفون حولها كل يوم وليلة.

كبير سدنة بيت الله الحرام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الشيبي هو الذي يوجد لديه مفتاح الكعبة، يقول ابنه نزار الشيبي: يقال عنا أيضا (الحجبي) أي الذي يحجب البيت، فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون للكعبة المشرفة سدنة، أي من هم مسؤولون عنها، وأن يكون لها مفتاح وقد تسلمناه نحن آل الشيبي، وتأتي السدانة بعدة معان في معجم اللغة العربية مثل الأمين والخادم والحاجب.. الخ.

وسدانة الكعبة ترجع الى تاريخ بنائها وتعني القيام بجميع أمورها من فتحها وأغلاقها وتنظيفها وغسلها وكسوتها واصلاح هذه الكسوة اذا تمزقت واستقبال زوارها وكل ما يتعلق بذلك، فقد كان يقوم بأمر السدانة اسماعيل عليه السلام ثم من بعده ذريته، إلى ان كان عهد قصي بن كلاب فأخذ قصي سدانة الكعبة من خزاعة التي كانت قد استولت على السدانة بالقوة مدة ليست بالطويلة وهي قبيلة هاجرت من اليمن بعد انفجار سد مأرب واتجهت الى مكة واقامت بها.

وقد ولد لقصي عبدالدار وعبد مناف وعبدالعزى وعبد قصي، وبعد وفاة قصي انحصرت السدانة في عبدالدار وابنائه حتى كان منهم عثمان بن طلحة بن ابي طلحة وابن عمه شيبه بن عثمان بن ابي طلحة.

وينتهي نسب سدانة الكعبة المشرفة الحاليين إلى شيبه بن عثمان بن ابي طلحة وقد اسلم عام الفتح على أصح الروايات وله صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وجميع آل الشيبي الموجودون في هذا العصر هم من ابناء الشيخ محمد بن زين العابدين رحمه الله تعالى، وينقسمون الى أبناء الشيخ عبدالقادر بن علي وهم عائلة عبدالله، وحسن آل الشيبي، وأبناء عبدالرحمن بن عبدالله الشيبي، وهم محل احترام واكرام كما دلت على ذلك الاخبار الواردة في حقهم، ولا يزالون في موضع الاكرام والرعايه عند عموم حكام المسلمين وبالاخص عند كل من تولى خدمة الحرمين الشريفين، ولايزال وجودهم من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم التى اخبر امته بها بقوله صلى الله عليه وسلم :(خذوها يابني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم).

قصة انتقال مفتاح الكعبة

نزار الشيبي وهو من سدنة بيت الله الحرام يقول: آلت الينا السدانة منذ أيام جدنا (قصي) وانتقلت بين أبناء إبنه عبدالدار الذي كان له خمسة أولاد، وكان لا يخرج في رحلة الشتاء والصيف فيعايره إخوانه بسبب ذلك، فسمعهم أبوه قصي فقال: والله لأشرفنك عليهم، فأعطاه سقاية الكعبة والسدانة والرئاسة والندوة والرفادة ولواء الحرب، وعندما جاء اخوانه، قالوا له انك أخذت كل الشرف، وما تركت لنا شيئا، فقال: خذوها كلها إلا السدانة والرئاسة حيث كان هو رئيس قريش.

ويقول إن الكعبة المشرفة تفتح مرتين في السنة لغسلها، ويسمح بدخولها حينئذ لبعض كبار ضيوف الدولة وبعض العلماء والمشايخ، وأيضا القائمون بغسلها.

ويضيف: تعلق في داخل الكعبة الهدايا التي قدمت لها، وبعض الموجودات بداخلها ربما تعود إلى ما بعد أن ضربها الحجاج بن يوسف الثقفي بالمنجنيق، يعني تقريبا تعود إلى ١٢٠٠ سنة، لكن هناك بلا شك أشياء تعود إلى عصور لاحقة، وأشياء أخرى حديثة.

ثلاثة أسرار حول الكعبة

من أسرار الكعبة – كما يقول الكاتب الصحفي السعودي عمر المضواحي المهتم بالكتابة عن تاريخ الأماكن المقدسة – أنها صرة الأرض وموصولة بالبيت المعمور في السماء السابعة، وأول بيت وضع للناس بناه ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام، وليس هناك في الكون بقعة أكثر مهابة وقدسية من هذه الحجرة المكعبة.

لم تعبد في تاريخها من دون الله قط، فقد كان العرب يعبدون الأصنام والأوثان حولها ولم يخصوها أبدا بالعبادة، حج إليها كل الأنبياء، ومجرد النظر إليها عبادة تعادل أجر عابد في غير مكة.

يضيف المضواحي متحدثا عن ما سجله قلمه عن هذه البقعة التي توصف بأنها قدس الأقداس الاسلامية: حول الكعبة ثلاثة أسرار لا يوجد مثيل لها في الأرض، الحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وهما ياقوتتان من يواقيت الجنة، وبئر زمزم وهو نهر من أنهار الجنة ينبع عينه المتدفق من تحت أعتاب الحجر الأسود.

على يسار باب الكعبة المهيب وبين الملتزم والحجر الأسود الى الداخل منها يقع مكان (حطيم السيئات) حيث يتم فيه التضرع بالدعوات، والى اليمين من باب الكعبة على بعد أقل من مترين يرتفع صندوق من الرخام النادر تحفظ فيه أدوات خدمة البيت وحوائج غسيل الكعبة من دهون الطيب كالعود والورد والعنبر ولفائف من قماش قطني معد للغسيل.

في منتصف الكعبة ترتفع ثلاثة أعمدة محاطة بأفخر أنواع الخشب المزخرف، وهي المعروفة بأعمدة الصحابي عبدالله إبن الزبير حين رأى في زمن حكمه مكة أن يسند سقف الكعبة بها خشية انهياره عندما قام بترميم بناء الكعبة.

في الجهة الشمالية من الكعبة، على يمين الداخل باب صغير يعرف بباب "التوبة" وهو آية في الصنعة والإتقان، يمتاز بمقاساته العادية وهو بنسبة قياس واحد الى ثمانية مقارنة بباب الكعبة الخارجي الوافر البهاء والضخامة، ويؤدي باب التوبة المصنوع من أندر قطع الأخشاب المكسوة بصفائح الذهب والفضة المشغولة، الى درج حلزوني من الزجاج السميك يصل الى سطح الكعبة.

وفي الجدار الغربي المواجه لباب الكعبة علقت تسعة ألواح أثرية من الرخام منقوش عليها أسماء الولاة والخلفاء تؤرخ لأعمال تجديد وترميم الكعبة، وكلها مكتوبة بعد القرن السادس للهجرة.

وكان آخر ترميم شامل للكعبة في زمن السلطان مراد الرابع من سلاطين آل عثمان سنة ١٠٤٠ من الهجرة النبوية.

جوانب الكعبة الأربعة محاطة بالرخام الأبيض، بارتفاع نحو مترين وبرخام ملون ومزركش بنقوش هندسية إسلامية. وما يعلوها مغطى بستارة خاصة من الحرير الأحمر الوردي مشغولة بالنسيج الأبيض على هيئة الشهادتين وبعض أسماء الله الحسنى على شكل رقمي ثمانية و سبعة متكررة بخط الثلث العربي البديع.

أباريق وشمعدانات وأوان ذهب وفضة

وبين الأعمدة الثلاثة يمتد عمود معدني يكتسي بالفضة الخالصة له خطافات صغيرة معلق فيها هدايا الكعبة من أباريق وشمعدانات وأوان أثرية من الذهب والفضة تعود بتاريخها الى ماض بعيد أهداها ملوك وخلفاء وسلاطين.

ويسن قبل التشرف بدخول الكعبة الطواف سبعا حولها، واستلام الحجر الأسود "يمين الله في الأرض"، والركن اليماني إقتداء بالسنة النبوية. كما يسن أيضا الصلاة فوق لوح من الرخام المنقوش بعلامة ظاهرة إشارة الى المكان الذي ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي فيه، وهو باتجاه الحائط الجنوبي بالقرب من الركن اليماني الى الداخل من جدار الكعبة.

والصلاة في الكعبة ثمان ركعات وهي من سنن الدخول الى الكعبة، ركعتان في اتجاه كل حائط من جدرانها الأربعة حيث لا قبلة في جوف القبلة.

كسوة الكعبة

وتعود كسوة الكعبة الى زمن بعيد، وقد كانت أيدي السلاطين والأمراء والملوك لا تقف في أي زمن من الازمان عن تقديم الكسوة والهدايا النفيسة الى بيت الله الحرام.

وقد أُختلف في أول من كسى الكعبة، فقيل إبراهيم، وقيل إسماعيل، وقيل تُبَّع، وقيل أبو كرب أسعد ملك حمير، وقيل عدنان.

وقد روى الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) عن ابن جريج قال: بلغنا أن تُبَّعاً أول من كسى الكعبة (الوصائل) فسترت بها، وذلك حين مرّ عليها راجعاً من غزوته ليثرب سنة ٢٢٠ قبل الهجرة: كساها بالبرود المقصَّبة، وعمل لها بابا ومفتاحاً، وفي ذلك يقول مفتخراً:

ورد الملك تبّع وبنوه
ورثُوهم جدودهم والجدودا
الى أن قال:
فكسونا البيت الذي حرّم الله
ملاءً مقصباً وبرودا
وأقمنا من الشهر عشراً
وجعلنا لنا به اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعاً وسبعاً
وسجدنا عند المقام سجودا

وتبعه خلفاؤه فكانوا يكسونها بالجد والقباطي (قماش مصري) زمناً طويلاً. ثم أخذ الناس يقدمون إليها هدايا من الكساوي المختلفة فيلبسونها على بعضها، وكان إن بليَ منها ثوب وضع عليه ثوب آخر الى زمن قصي، فوضع على القبائل رفادة لكسوتها سنوياً، واستمر ذلك في بنيه. وكان أبو ربيعة بن المغيرة قبل الاسلام يكسوها سنة وقبائل قريش تكسوها أخرى فسمي بذلك العدل لعدله بين قبائل قريش في كسوة الكعبة. وقد كساها النبي صلى الله عليه وسلم بالثياب اليمانية.

ثم كساها عمر وعثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان، ولما حج المهدي العباسي سنة ١٦٠، كان على الكعبة جملة كساوي فشكا إليه سدنتها من كثرتها فأمر بها فأنزلت تخفيفاً عن سقفها، وأمر بأن لا تعلق عليها الا كسوة واحدة فكان ذلك الى الآن.

أما أول عربية كست الكعبة قبل الاسلام فهي نبيلة بنت حباب ام العباس بن عبد المطلب، كستها الحرير والديباج، وسبب ذلك أن ولدها العباس ضلّ صغيراً فنذرت إن وجدته لتكسونّ الكعبة فوجدته ففعلت.

وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يبعث أيام خلافته بكسوة البيت كل سنة من العراق، وقد بالغ العباسيون في العناية بكسوة الكعبة، وكانت من الحرير الاسود (وهو شعارهم) وكانت تصنع في مصر.

ولما ضعف أمرهم صارت ترسل تارة من ملوك اليمن، وأخرى من ملوك مصر، وكان كلما تجدد ملك أو سلطان أرسل الى الكعبة بكسوة داخلية من الحرير الاحمر، وبأخرى خضراء للحجرة النبوية الشريفة.

ويتبع هذه الكسوة الشريفة ستارة باب الكعبة من خارجها ويسمونها بالبرقع، وستارة باب التوبة من داخلها، وكيس مفتاح بيت الله الحرام، وكسوة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام، وستارة باب منبر الحرم الشريف، وهي من الاطلس المصنوع بالمخيشن الذهبي والفضي.

ولما استولت الدولة العثمانية على مصر والحجاز اختصَّت بكسوة البيت الداخلية وكسوة الحجرة النبوية، علاوة على الشمع الكبار والصغار التي تسرج داخل الكعبة وخارجها، وفي مقامات المسجد الحرام والمآثر الشريفة، وكذا طيب الكعبة وبخورها، كعطر الورد وماء الورد والعنبر والند، وكذلك الحبال التي تلزم لرباط ستار الكعبة، فكانت كل هذه الاشياء ترسل سنوياً مع المحمل الشامي.

فاختصت اسطانبول من ذلك الوقت بحياكة الكسوة الداخلية، واستمر سلاطين آل عثمان في إرسالها على النحو المذكور الى عهد السلطان عبد العزيز ابن السلطان محمود الثاني حيث انقطعت الدولة العثمانية عن إرسال الكسوة الداخلية وبقيت الكسوة التي كان قد ارسلها السلطان عبد العزيز عام ١٢٧٧ في الكعبة الى يومنا هذا. وكانت الدولة العثمانية قد أرسلت عام ١٣٣٤ كسوة خارجية للكعبة، وفي سنة ١٣٤٦ أسست دارة خاصة للكسوة في محلة أجياد بمكة المكرمة.

تغيير كسوة الكعبة

وأثناء فريضة الحج وبعد أن يتوجه الحجاج الى صعيد عرفة، يتوافد أهل مكة إلى المسجد الحرام للطواف والصلاة ومتابعة تولي سدنة البيت الحرام تغيير كسوة الكعبة المشرفة القديمة واستبدالها بالثوب الجديد استعدادا لاستقبال الحجاج في صباح اليوم التالي الذي يوافق عيد الأضحى.

وقبل هذا الوقت وفي منتصف شهر ذي القعدة تقريبا يتسلم كبير السدنة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الشيبي في حفل سنوي الثوب الجديد من الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بقاعة المناسبات الرئيسية في مصنع كسوة الكعبة المشرفة بضاحية أم الجود بمكة.

وبعد إحضار الثوب الجديد تبدأ عقب صلاة العصر مراسم تغيير الكسوة حيث يقوم المشاركون في عملية استبدال الكسوة عبر سلم كهربائي بتثبيت قطع الثوب الجديد على واجهات الكعبة الأربعة على التوالي فوق الثوب القديم.

وتثبت القطع في عرى معدنية خاصة (٤٧ عروة) مثبتة في سطح الكعبة، ليتم فك حبال الثوب القديم ليقع تحت الثوب الجديد نظرا لكراهية ترك واجهات الكعبة مكشوفة بلا ساتر.

ويتولى الفنيون في مصنع الكسوة عملية تشبيك قطع الثوب جانبا مع الآخر، إضافة الى تثبيت قطع الحزام فوق الكسوة (١٦ قطعة جميع أطوالها نحو ٢٧ مترا) و ٦ قطع تحت الحزام ، وقطعة مكتوب عليها عبارات تؤرخ إهداء خادم الحرمين الشريفين لثوب الكعبة وسنة الصنع، ومن ثم تثبت ٤ قطع صمدية (قل هو الله أحد الله الصمد) توضع على الأركان، و١١ قطعة على شكل قناديل مكتوب عليها آيات قرآنية توضع بين أضلاع الكعبة الأربعة.

ستارة الكعبة أصعب مراحل تغيير الكسوة

وآخر قطعة يتم تركيبها هي ستارة باب الكعبة المشرفة وهي أصعب مراحل عملية تغير الكسوة، وبعد الانتهاء منها تتم عملية رفع ثوب الكعبة المبطن بقطع متينة من القماش الأبيض، وبارتفاع نحو مترين من شاذروان (القاعدة الرخامية للكعبة) والمعروفة بعملية (إحرام الكعبة).

ويرفع ثوب الكعبة لكي لا يقوم بعض الحجاج والمعتمرين بقطع الثوب بالأمواس والمقصات الحادة للحصول على قطع صغيرة طلبا للبركة والذكرى.

وقد أورد المؤرخ السعودي حسين سلامة في كتابه (تاريخ الكعبة المعظمة) أنه جاء في كتاب الرحلة الحجازية للبتنوني نقلا عن كتاب الخطط للمقريزي، أن العباسيين كانوا يعملون كسوة الكعبة المشرفة بمدينة (تنيس) المصرية، وكانت لها شهرة عظيمة في المنسوجات الثمينة.

ويذكر البتنوني أنه لما استولت الدولة العلية على مصر اختصت بكسوة الحجرة الشريفة، وكسوة البيت الداخلية، وأختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية.

واستمرت الكسوة تصنع في عدد من الدول الإسلامية كمصر وتركيا والهند حتى صدر أمر الملك عبدالعزيز في سياق سياسة إحتكار شؤون الحرمين الشريفين بإنشاء مصنع كسوة الكعبة بمكة المكرمة، وبات المصنع يقوم بعمل الكسوتين لأول مرة في التاريخ في أرض الحرمين الشريفين.

ويتم تسليم الثوب القديم بجميع متعلقاته للحكومة السعودية التي تتولى عملية تقسيمه كقطع صغيرة وفق اعتبارات معينة لتقديمه كإهداء لكبار الضيوف والمسؤولين وعدد من المؤسسات الدينية والهيئات العالمية والسفارات السعودية في الخارج.

ويستهلك الثوب الواحد للكعبة نحو ٦٧٠ كيلو جراما من الحرير الطبيعي و١٥٠ كيلو جراما من سلك الذهب والفضة، ويبلغ مسطحه الإجمالي ٦٥٨ مترا مربعا ويتكون من ٤٧ لفة، طول الواحدة ١٤ مترا وبعرض ٩٥ سنتيمترا. ويكلف الثوب الواحد نحو ١٧ مليون ريال سعودي.

(٢)

كنوز الحجرة النبوية الشريفة

الحجرة النبوية الشريفة

رغم الكثير من الوصف الذي ورد عنها في كتب المؤرخين القدماء فقد ظلت في نظر الكثير من الناس سراً من الأسرار التي يستحيل معرفتها، ما ان تسمع رواية او وصفا حتى تكتشف أن هناك المزيد والمزيد وأنك مهما حاولت واجتهدت فلن تنال من المعرفة عنها سوى أقل القليل.

تفيض مشاعر أناس سمح لهم بدخول الحجرة النبوية.. المكان الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وحجرة السيدة عائشة التي أسلم فيها الروح.

يقول الكاتب الصحفي عمر المضواحي المهتم بالكتابة عن الحرمين الشريفين والأماكن المغروسة في وجدان المسلمين: غمست وجهي محدقا من بين فتحات الحجرة.. كنت خائفا حتى الموت، لكن شيئا ما دفعني للنظر، على أرى ما نبأني عنه شيوخ التقيت بهم في مكة المكرمة.

شاهدت قناديل معلقة بسقف الحجرة النبوية، رأيت مثلها في جوف الكعبة المشرفة، هدايا قديمة مصاغة من الذهب والفضة، تعكس مراحل ضاربة في عمق التاريخ الإسلامي، واختلست نظرات لحجرة السيدة فاطمة الزهراء، ومتعت عيني في بقعة ضمت الشطر الأكبر من حياة الرسول الكريم• أنوار تتجلى في ذات المكان، وهديل حمائم جاورت، كما جاورت غار ثور يوم هجرة الرسول وصاحبه أبي بكر الصديق.

صناع كسوة الحجرة النبوية

يضيف: كنت أقوم بعمل تحقيق صحفي منذ عدة سنوات عن الكسوة الخضراء وهي كسوة الحجرة النبوية، فأتيح لي أن التقي من نالوا شرف المشاركة في نسج هذه الكسوة التي يعود تاريخها إلى قرون مضت.

وتوجد الحجرة النبوية في الجزء الجنوبي الشرقي من مسجد الرسول، وهي محاطة بمقصورة ، عبارة عن حجرة خاصة مفصولة عن الغرف المجاورة فوق الطبقة الأرضية، من النحاس الأصفر، ويبلغ طول المقصورة ١٦ مترا وعرضها ١٥ مترا، ويوجد بداخلها بناء ذو خمسة أضلاع يبلغ ارتفاعه نحو ٦ أمتار بناه نور الدين زنكي ونزل بأساسه إلى منابع المياه، ثم سكب عليه الرصاص حتى لا يستطيع أحد حفره أو خرقه، وداخل البناء قبر الرسول، وقبرا أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب.

وفي شمال المقصورة النبوية وجدت مقصورة أخرى نحاسية ويصل بين المقصورتين بابان، ويحيط بالحجرة النبوية أربعة أعمدة أقيمت عليها القبة الخضراء التي تميز المسجد، أما الروضة الشريفة فهي بين المنبر وقبر الرسول ويبلغ طولها ٢٢ مترا، وعرضها ١٥ مترا.

محراب مصلى الرسول صلى الله عليه وسلم

في المسجد النبوي تشتم طيب روائح الصحابة ، تكاد تسمع أحاديثهم ومسامراتهم، ترى حركاتهم وأثر خطواتهم العارية على صفحات هذه الأرض المباركة، لكن ما يحزنك حتى البكاء، أن يترك هذا التراث بدون تدوين وأن تموت أنفس قليلة بقيت تعرف وحدها كل هذه التفاصيل.

أحاديث الدموع والخشوع

ويؤكد أن هذه التفاصيل والأسرار ما هو مدون منها قليل، ومهمل، وضائع في الكتب القديمة ويفتقر الى التوثيق بالصور بجانب المعلومات، ولا أليق ولا أكمل من أن نوثق هذه المواقع ونعرفها، بطريقة أو بأخرى لنحافظ على روح المكان في جسده الجديد العملاق.

لماذا ظل مكتوماً خبر هذه الكسوة قبل الآن، ولماذا نمر عليها لماما في حين، ويتجاهل في أحايين أخرى؟.. يقول المضواحي: لا زلت أذكر حديث الشيخين في مكة، وأنا أرى نسج عملهم. كنت في مكة، فذهبت صوب مصنع كسوة الكعبة، وهناك عرفت أن للمصنع شرفاً آخر، فهو ينتج أيضا كسوة أخرى للحجرة النبوية.

التقيت في ذلك الوقت قبل عدة سنوات برجال شاركوا في الصنع والتركيب، لم أشأ حينها أن أفوّت الفرصة حيث إن أصغرهم كان في الستينات من عمره، وخفت أن يودعوا الدنيا دون أن أتمكن من توثيق هذا العمل.

سجّلت معهم أحاديث اختلطت بالدموع والخشوع، خانهم التعبير مرات وخنقتهم العبرات في أخرى، وهم يتحدثون عن تجربتهم الفريدة، كانت أطرافهم ترتعش من مجرد الذكرى كأنها حدثت بالأمس، وليس قبل ربع قرن من الزمان.

كان الشيخ محمد علي مدني، رئيس قسم النسيج الآلي بالمصنع في ذلك الوقت، كريما معي، وعرفت منه أنه كان أحد الذين شاركوا في نسج كسوة الحجرة النبوية وتركيبها. قلت له حدثني عن كسوة الحجرة النبوية، صفهما لي: جال ببصره بعيداً، كأنه يستحضر تلك الذكريات الغالية، ثم أجابني: شعرت يومها بحالة ذهول كامل تملكتني. إنها بقعة عظيمة، غاية في العظمة، لا أعرف محيطها بالتحديد لكن بدا لي أن محيط الحجرة النبوية ٤٨ مترا.

هيبة المكان غلبت على أن ألحظ فيها شيئا ملفتاً للنظر أو للانتباه، كنت مبهوراً ولم أر سوى قناديل معلقة بسقف الحجرة، وهي هدايا قديمة كانت تهدى للمسجد النبوي من قديم الزمان، وقيل لي إنه كانت هناك آثار نبوية وضعت في مكان آخر لا أعرف أين، وما أعرفه أن هناك بعض الأشياء التاريخية محفوظة في حجرة السيدة فاطمة الزهراء، وهو ذات المكان الذي كانت تسكن فيه.

أضاف: كسوة الحجرة نسيج من حرير خالص، أخضر اللون، مبطن بقماش قطني متين، ومتوجة بحزام مشابه لحزام كسوة الكعبة المشرفة، غير أن لونه أحمر قان، خط عليه بتطريز ظاهر آيات قرآنية كريمة من سورة الفتح تشغل ربع مساحته، بخيوط من القطن وأسلاك من الذهب والفضة وهو بارتفاع ٩٥سم٢.

وهناك قطع أخرى من ذات اللون الأحمر وبنفس النسج لكنها أصغر قليلا مكتوب عليها إشارات

تدل على مواقع القبور الثلاثة، وهي من ذات العينة والطراز للكسوة الداخلية لجوف الكعبة، وباختلاف بسيط يتمثل في اختلاف الآيات القرآنية المنسوجة يدويا بطريقة "الجاكار" المعمول مثلها آلياعلى ظاهر كسوة الكعبة .
كسوة الحجرة النبوية لا تتبدل كل عام مثل كسوة الكعبة المشرفة، فهي محفوظة في بناء الحجرة وبعيدة عن الأيادي وعوامل المناخ ويتم تغييرها كلما دعت الحاجة الى ذلك.

مفاتيح الحجرة عند كبير الأغوات

ترتفع السترة بمقدار ستة أمتار، ويتم تركيبها عادة في السادس من شهر ذي الحجة، كلما صدر الأمر الملكي بذلك، وعند كبير الأغوات مفاتيح الحجرة، وهم من يقوم بخدمتها وتنظيفها والعناية بها كل ليلة اثنين وجمعة حتى الآن.
ويضيف عمر المضواحي: كنت أرغب في المزيد، ووجدته عند الشيخ محمد جميل خياط مدير الإنتاج بالمصنع، وهو رجل بدا لي حينها في الستينات من عمره. قال له الشيخ جميل: تم الإبقاء على الصنع اليدوي في المصنع لعمل الكسوتين، الداخلية لجوف الكعبة المشرفة، والأخرى للحجرة النبوية، للحفاظ على هذا التراث الفني الراقي.
يستطرد المضواحي: ثم التقيت بالشيخ أحمد ساحرتي رئيس قسم التطريز بالمصنع، بدا لي في ذلك الوقت البعيد أيضا كبر سنه، وضعف نظره، بادرني: كيف أستطيع أن أحدثك عن مشاعري لحظة دخولي الى الحجرة النبوية.. لايمكنني ذلك، اعذرني.. هذا حديث فوق قدرتي على الكلام، ولم أظن في يوم من الأيام أن أسئل عن هذه التجربة.. وأؤكد لك أنني لن أستطيع خوضها ثانية.
اقترب مني أكثر وأضاف: أنظر الى عدسات نظارتي - وأشار الى غلظتها - ودقق النظر في شيبتي وثقل السنين التي أحملها، عمري لا أحصيه، لكنني سمعتهم يقولون إنني من مواليد ١٣٣٣هـ، ومع كل هذه السنين لم أعرف لي هواية غير حب العطور والروائح الجميلة، وصرفت ردحا من أيامي التي عشتها طولا وعرضا لأشبع هذا النهم الذي لايزال يرافقني للآن، سافرت كثيرا وتعرفت على الكثير لكنني أستطيع أن أقول بثقة أن لي تركيبات عطرية خاصة، لا تكون عند غيري ولا يقدر عليها أحد سواي.

عندما فتحت الأبواب ودخلوا الحجرة

يواصل الساحرتي متحدثا للمضواحي: أقول ذلك لأنني عرفت عجزي وقلة معرفتي في تلك الليلة المباركة، عندما فتحت لنا الأبواب، ودخلنا الحجرة النبوية، لقد أستنشقت عطرا وروائح ما عرفتها من قبل، ولم أعرفها من بعد. لم أعرف سر تركيبتها أبدا، كان عطرا فوق العطر، وشذا فوق الشذا، وشيئا آخر لاقبل لنا به نحن أهل الصنعة والمعرفة.
يحكي عمر المضواحي قائلاً: عندما سألته أن يصف لي الحجرة النبوية، سرت في جسده رعدة خفيفة أصابته، وقال بصوت خافت: أعتقد أن ارتفاع الحجرة أحد عشر مترا، وأسفل القبة الخضراء، قبة أخرى مكتوب عليها: قبر النبي وقبر أبوبكر الصديق وقبر عمر بن الخطاب، ورأيت أيضا أن هناك قبرا آخر لكنه خاو، وبجانب القبور الأربعة، حجرة السيدة فاطمة الزهراء، وهو البيت الذي كانت تسكنه.
من رهبتنا لم نكن نعرف كيف نرفع المقاسات الخاصة بالقبة، كانت أصابعنا ترتجف، وأنفاسنا تتسارع. وبقينا ١٤ ليلة كاملة نعمل فيها من بعد صلاة العشاء الى وقت أذان الفجر الأول، لننجز مهمتنا.
ظللنا نرفع المقاسات، ونحل أربطة السترة القديمة، نكنس وننظف ما علق بالمكان الطاهر من غبار وريش حمام، هذا الموقف يعود إلى عام ١٩٧١ ميلادية، وكانت الكسوة التي قمنا بتغييرها قديمة، كان عمرها ٧٥عاما حسب التاريخ المنسوج عليها، ولم تستبدل طوال هذا الوقت.
ويمضي الشيخ الساحرتي في تفاصيل تلك الزيارة: كنت أول من دخل مع السيد حبيب من أعيان المدينة المنورة، وأسعد شيرة مدير الأوقاف في المدينة وقتها وحبيب مغربي من إدارة المصنع، وعبدالكريم فلمبان وناصر قاري، وعبدالرحيم بخاري وآخرين، كنا ١٣رجلا، لا أذكر معظمهم، فقد ذهبوا الى رحمة الله.
كان يرافقنا كبير الأغوات وعدد من خدام الحجرة النبوية.. الهمس حديثنا، هذا إذا لم تكن الإشارة تغني عن الكلام. كنت ومازلت أعاني من ضعف شديد في الإبصار، وهذه النظارة لم تفارق عيني منذ تلك الأيام، لكنني كنت في الحجرة شخصا آخر.. كنت أشعر بذلك، وألمس الفرق.
ويقسم الشيخ الساحرتي قائلا: "كنت أدخل الخيط في ثقب الإبرة من غير نظارة، رغم الضوء الخافت الذي كنا نعمل فيه. كيف تفسر ذلك، وكيف تفسر أنني لم أشعر بحساسية في صدري كنت أعاني منها ومازلت، فأنا أسعل بشدة مع أدنى غبار، لكنني يومها لم أتأثر بغبار الحجرة، ولا بالأتربة المتطايرة، كأن التراب لم يعد ترابا، وكأن الغبار أصبح دواءً لعلتي، كنت أشعر طوال تلك الليالي أنني شاب، وأن فتوة الصبا قد ردت اليّ".
لقد حدث معي شيء غريب آخر لم أفهم سره حتى اليوم، فبعد تجديد كسوة الحجرة يومها، كان علينا أن نخرج الستارة القديمة، حمل من حمل الستارة، وبقي حزامها المطرز بطول ٣٦مترا، قلت لهم لفوه ثم أتركوه، تقدمت إليه، وحملته على ضعفي فوق كتفي هذا، خرجت به من الحجرة النبوية، لم أشعر بثقله أبداً، لكنهم بعد ذلك جاءوا برجال خمسة ليحملوه فلم يستطيعوا، وانخرط الشيخ في بكاء صامت، وأكمل بتأوه: سأل بعضهم عن الذي حمله وجاء به الى هنا، قلت مجيبا: أنا، لم يصدقوا.. قلت لهم اسألوا عبدالرحيم بخاري خطاط الكسوة الشهير.

أجمل وصف للحجرة النبوية

يقول الناقد والباحث في تاريخ المدينة المنورة محمد الدبيسي: كثير من المؤرخين شغفوا بتاريخ المدينة المنورة والكتابة عنه، لقد أحصيت أكثر من ٥٠٠ كتاب إضافة إلى الأبحاث العلمية التي نشرت في دوريات، فمثلا أول كتاب عن تاريخ المدينة كان لابن زبالة في القرن الثاني الهجري، بعد ذلك كتب مؤرخون آخرون مثل المراغي والسخاوي والسمهودي، الأخير له كتاب باسم (وفاء الوفاء في اخبار دار المصطفى) في القرن العاشر الهجري "عام ١٣٢٥هـ" والذي يحتوي على مجلدين، ويعتبر مرجعا في هذا الباب، لكن أجمل وصف وقفت عليه بخصوص الحجرة النبوية وجدته في كتاب (مرآة الحرمين) للدكتور ابراهيم رفعت باشا الذي جاء من مصر وزار الحرمين ووصف الحجرة بأورع ما يمكن.
ويقول الدبيسي إن الحجرة تقع شرق المسجد النبوي الشريف، وكان بابها يفتح على الروضة الشريفة التي وصفها الرسول عليه السلام بأنها روضة من رياض الجنة، وهي حجرة السيدة عائشة بنت الصديق التي قبضت فيها روحه فدفن بها، وكان قبره جنوب الحجرة، وكانت عائشة بعد وفاته تقيم في الجزء الشمالي منها، وكما يُذكر تاريخيا بأنه عليه السلام قد دفن ورأسه الشريف إلى الغرب ورجلاه إلى الشرق ووجهه الكريم إلى القبلة.
وعندما توفى الصديق دفن خلف النبي صلى الله عليه وسلم بذراع، ورأسه مقابل كتفيه الشريفين، ولما توفي عمر بن الخطاب أذنت له عائشة بعد أن استأذنها قبل وفاته بأن يدفن إلى جوار صاحبيه داخل هذه الحجرة.
وعن القبر الخالي في الحجرة النبوية يشير محمد الدبيسي إلى إن بعض العلماء يذكرون أن هذا القبر سيدفن فيه النبي عيسى عليه السلام. أما قصة تسمية الكوكب الدري الموجود في الحجر النبوية، فقد كان يوجد في الجدار القبلي من الحجرة تجاه الرأس الشريفة مسمار فضة، ويذكر رفعت ابراهيم باشا أنه ابدل بقطعة من الألماس كانت بحجم بيضة الحمام، وتحته قطعة أخرى أكبر منها، والقطعتان مشدودتان بالذهب والفضة، ومن ثم اطلق عليهما اسم "الكوكب الدري".
ويطلق على الحجرة في بعض الكتب — والكلام للدبيسي — المقصورة الشريفة، ولها ستة أبواب، الباب الجنوبي ويسمى باب التوبة، وعليه صفيحة مكتوب عليها تاريخ صنعه ١٠٢٦ هـ، والباب الشمالي ويسمى باب التهجد، والبال الشرقي ويسمى باب فاطمة، والباب الغربي

ويسمى باب النبي وبعض الناس يسمونه باب الوفود، وعلى يمين المثلث داخل المقصورة باب آخر، ثم باب سادس على يسار المثلث في داخل المقصورة أيضا.

ويقول إن عمر بن عبدالعزيز بني حول الحجرة سور من خمسة أضلاع خوفا من أن تشبه الكعبة فيصلى عليها. ويوضح أن كتاب مرآة الحرمين ذكر أن الخيزران أم هارون الرشيد هي أول من كسا الحجرة الشريفة بالدائر المخمس، ثم كساها ابن أبي الهيجاء بالديباج الأبيض والحرير الأحمر وكتب عليه سورة يس، ثم كساها الخليفة الناصر بالديباج الأسود ثم صارت الكسوة ترسل من مصر كل ست سنوات من الديباج الأسود المرقوع بالحرير الأبيض وعليها طراز منسوج بالذهب والفضة.

ويشير إلى أن تكاليف كسوة الحجرة النبوية عندما أصبحت تأتي من مصر، أوقفت على بيت مال المسلمين في مصر في عهد السلطان الصالح اسماعيل الناصر، وكانت تجدد كل خمس سنوات.

ويقول إن كتاب "مرآة الحرمين" يؤكد أن الهدايا التي أهديت للمسجد النبوي والحجرة الشريفة في عهده عام ١٣٢٥هـ تقدر بسبعة ملايين من الجنيهات و٦٢٠ قنديلا معلقة، ونجف من البلور، وأربع شجرات على أعمدة بلور مفرعات بأغصان مائلة عليها تنانير صافية وضعت بالروضة الشريفة.

وحول الحجرة الشريفة ١٠٦ من القناديل كلها بالذهب المرصع بالألماس والياقوت وحول الحجرة كذلك معاليق من الجواهر الثمينة ومن اللؤلؤ الفاخر.

وأهدى السلطان عبد المجيد الحجرة النبوية سنة ١٢٧٤ هـ شمعدانين مصنوعين من الذهب الخالص المرصع بالألماس الفاخر، وتم وضعهما بمقصورة الحجرة الشريفة أحدهما باتجاه الرأس الشريف والآخر بمحاذاة رجليه الكريمتين، كما جاء في كتاب مرآة الحرمين.

ويؤكد الدبيسي أن الكتب التاريخية تشير إلى تعرض الحجرة النبوية للسلب والنهب عبر العصور المختلفة قبل الدولة السعودية، وأن بعض الأشياء التي تعرض في بعض المتاحف التركية، أخذت في عهد الدولة العثمانية من مقتنيات الحجرة، التي يقال إنها كانت تضم الذهب والفضة.

ويشير إلى أن ابراهيم رفعت باشا ذكر في كتابه أن الملك العادل نور الدين الشهيد أمر عام ٥٥٧ هـ ببناء خندق صب فيه الرصاص حول الحجرة النبوية، عندما علم أن هناك من يحاول الوصول إلى جسد الرسول.

ويقول إن الحجرة مرت بمراحل في بنائها، فقد كانت إبان العهد الأول مبنية باللبن وجريد النخل على مساحة صغيرة ثم أبدل الجريد بالجدار في عهد عمر بن الخطاب ثم أعاد عمر بن عبد العزيز بناءها بأحجار سوداء.

وتقول الكاتبة حليمة المظفر إن الدكتور عبد الرحمن الأنصاري عالم التاريخ والآثار ذكر لها في ثنايا تقرير لها نشر في صحيفة الشرق الاوسط إنه خلال الفترة التي عاصرها في عهد الدولة السعودية لم يكن مسموحا لأحد بدخول الحجرة النبوية، لكنه عرف عن طريق كبار السن أنه قبل ذلك كان هناك من يدخل الحجرة وان اقتصر ذلك على الأطفال والأغاوات. وتضيف أنها سمعت من الدكتور الأنصاري إنه لم تكن هناك أغطية لقبر الرسول وصحابته خلال العهد السعودي إلا أنه لا يستبعد وجودها قبل هذا العهد لأنه لا يوجد دليل يثبت عدم وجودها خاصة في العهد العثماني.

وأوضح لها أنه حينما كان طفلا في المدينة شاهدوا على جدار الحجرة الخارجية في فترة الخمسينات الهجرية ستائر مهلهلة وقديمة تم استبعادها وهذه الستائر خارج الحجرة أمر لا يستبعد معه وجود أغطية على القبور داخلها، وهناك صورة قديمة جدا تم تداولها مسبقا لقبر الرسول عليه السلام وعليه غطاء.

الحجرة تجدد بناؤها أكثر من مرة

وقد ذكر الأديب المصري الراحل محمد حسين هيكل في كتابه (في منزل الوحي) عام ١٩٤٧م عن رحلة الحج التي قصد بها الأراضي المقدسة، ان الحجرة النبوية ظلت كما هي حتى زمن بني أمية، حين أمر الوليد بن عبد الملك واليه علي المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز أن يضم حجرات أزواج النبي رضي الله عنهن.

وبنى عمر بن عبد العزيز الحجرة سنة ثمان وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين للهجرة، وبالتالي فقد ظلت ثمانية وسبعين أو ثمانين سنة بعد وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم في مثل بساطتها حين وفاته.

ويقول محمد حسين هيكل إن الحجرة قد تجدد بناؤها بعد ذلك اكثر من مرة، فقد شب حريق في القرن السابع الهجري وامتد إلي الحجرة ولكنها لم تحرق، كما امتد إلي المسجد كله، و تعرضت لحريق آخر علي اثر الصاعقة التي نزلت في أواخر القرن التاسع الهجري.

وقد بنيت أول قبة في المسجد النبوي فوق الحجرة النبوية في القرن السابع الهجري، بأمر السلطان المملوكي المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٧٨ هـ وهي التي عرفت مؤخراً بالقبة الخضراء، وكانت مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها، مصنوعة من أخشاب أقيمت على رؤوس السواري المحيطة بالحجرة الشريفة، مكسوة بألواح الرصاص، منعاً لتسرب مياه الأمطار.

وفي عام ٨٨١ هـ وبعد الانتهاء من بعض الترميمات في المسجد قرر السلطان قايتباي إبدال السقف الخشبي للحجرة بقبة لطيفة، فرفعوا السقف الخشبي، ثم عقدوا قبواً على نحو ثلث الحجرة مما يلي المشرق والأرجل الشريفة، ليتأتى لهم تربيع محل القبة المتخذة على بقية الحجرة من الغرب، ثم عقدوا القبة على جهة الرؤوس الشريفة بأحجار منحوتة من الحجر الأسود والأبيض، ونصبوا بأعلاها هلالاً من نحاس، وبيضوها من الخارج بالجص، فجاءت جميلة بديعة.

وقد سلمت هذه القبة من الحريق الذي شب بالمسجد سنة ٨٨٦ هـ، بينما احترقت القبة التي فوقها، فأعاد السلطان قايتباي عام ٨٩٢ هـ بناءها بالآجر، وأسس لها دعائم عظيمة بأرض المسجد، ثم ظهرت بعض الشقوق في أعاليها، فرممت وأصبحت في غاية الإحكام.

الوهابية: عداء وتدمير للآثار الإسلامية

ثم عمل قبة على المحراب العثماني، وغطى السقف بين القبة الخضراء والحائط الجنوبي بقبة كبيرة حولها ثلاث قباب، كما أقام قبتين أمام باب السلام من الداخل، وقد كسيت هذه القباب بالرخام الأبيض والأسود، وزخرفت بزخارف بديعة.

وفي سنة ١١١٩ هـ أضاف السلطان محمود الأول رواقاً في جهة القبلة، وسقّف ما يليه بعدد من القباب. وفي عام ١٢٢٨هـ جدد السلطان محمود الثاني العثماني قبة الحجرة النبوية ، ثم دهنها باللون الأخضر، فاشتهرت بالقبة الخضراء، وكانت قبل ذلك تعرف بالبيضاء والزرقاء، وكان بعضهم يطلق عليها: الفيحاء.

غار حراء وأسرار المكان الذي بدأ منه الإسلام

صعود جبل حراء الذي يسمى حالياً بجبل النور ودخول الغار الذي نزل فيه جبريل عليه السلام بأول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، تجربة عملية صعبة وقاسية، تستغرق وقتاً طويلاً وجهداً خارقاً حتى تصل إلى القمة ومن ثم تدلف إلى الغار. هناك تكتشف المكان الذي سطرت فيه مقدمة الفصل الأول من تاريخ الإسلام، وكيف أن الحجر كان مادته ومداده.

تتمنى لو أن الجبل ينطق، ولو أن للغار فماً ولساناً، ولو لم يكن قدره هذا الجمود السرمدي، لحظتها كنت ستستمع منه قصة صفحات التكوين والبداية.. بداية "اقرأ بسم ربك الذي خلق".

جبل حراء له أسماء عديدة منها جبل القرآن، وجبل الإسلام، ولكنه يعرف حالياً بجبل النور، يصل ارتفاع جبل حراء إلى ٦٤٢ متراً، ولكنه شاق على من يصعده حيث يصبح انحدار الجبل شديداً من ارتفاع ٣٨٠ متراً حتى يصل إلى ارتفاع ٥٠٠ متر، ثم يستمر بانحدار قائم الزاوية تقريباً إلى قمة الجبل في شكل جرف، وتبلغ مساحته ٥.٢٥ كم مربع.

يقع جبل النور، في الشمال الشرقي لمكة المكرمة، ويقع في أعلاه غار حراء، محضن أول آية أنزلت في القرآن الكريم، ومقر خلوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم قبل بعثته. فيه تم أول لقاء مع جبريل عليه السلام حاملا بشرى النبوة لمحمد بن عبد الله تمهيدا لحمل الرسالة إلى الثقلين الإنس والجن.

وأشارت مصادر تاريخية إلى أنه لا يوجد جبل بمكة ولا بالحجاز ولا بالدنيا كلها يشبه جبل حراء، فهو فريد الشكل والصورة، قمته تشبه الطربوش الذي يلبس على الرأس أو كسنام الجمل، أو كالقبة الملساء.

في قلوب المسلمين عاطفة خاصة نحو هذا الجبل وبقية المواقع التاريخية في مكة والمشاعر المقدسة، رغم قلة المعلومات المتوفرة عنها، ويغلب عليهم توارث حبها جيلا بعد جيل، ويتحينون الفرصة لزيارة الأراضي المقدسة

إلى متى يطمسون آثارنا؟

عمرو محمد الفيصل

زرت الأسبوع الماضي مدينة بدر القريبة من المدينة المنورة. أقول القريبة من المدينة المنورة حيث إن كثيراً من الناس في بلدنا الحبيب (صدقوا أولا تصدقوا!) يجهل تماماً أين تقع مدينة بدر.

بدر مدينة صغيرة محاطة بجبال قريبة من شاطئ البحر الأحمر الذي يبعد ثلاثين كيلومتراً تقريباً عنها.

اكتسبت تلك المدينة شهرتها كون أنها المكان الذي دارت فيه المعركة الشهيرة التي سميت باسمها، والتي وقعت في اليوم السابع عشر من رمضان في العام الثاني للهجرة بين جيش المسلمين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجيش قريش بقيادة نخبة من صناديدها. وقد انتصر المسلمون على أعدائهم في موقعة وصفها الله سبحانه وتعالى بـ"يوم الفرقان" حيث كان أول انتصار عسكري للمسلمين المستضعفين في الأرض حتى تلك اللحظة.

الموقعة كانت بمثابة إعلان بأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أصبحت قوة لابد من أخذها في الحسبان في التوازنات السياسية والعسكرية في جزيرة العرب. كما أنها ليست فقط قادرة أن تدافع عن نفسها، بل قادرة أيضا على المبادرة الحربية ومع أقوى قوة عسكرية في منطقتها.

دعيت لزيارة مدينة بدر مع نخبة من كتّاب ومحررين وأعضاء مجلس إدارة جريدة المدينة التي أتشرف بالكتابة فيها، وذلك من قبل أحد أعيان تلك المدينة. وكانت الدعوة بلا سبب محدد إلا تعبيراً عن محبة ذلك الشيخ وأهله الكرام في جريدتنا ورغبة منه لنزورهم في مدينتهم.

كنت متشوقاً لزيارة بدر التي لم أكن قد زرتها منذ أكثر من عشرين عاماً. تجدر الإشارة هنا أنني عدت إلى بدر مرة أخرى بعد أسبوع وذلك بدعوة من السيد محافظ بدر.

لقد سررت بما شاهدته من ترتيب جميل وشوارع (أنظف من جدة ، ورب النعمة!) في مدينة أكبر مما توقعت حيث وصل تعداد سكانها إلى خمسة وثلاثين ألف نسمة. ولكن أكثر ما أثر فيَّ هي الحفاوة التي استقبلت فيها ورفقائي. فالإخوة البدريون فرشوا لنا السجاد الأحمر، وبالغوا في آيات التكريم والترحيب، وجالوا بنا في مدينتهم وضواحيها المتاخمة للبحر لكي نأخذ فكرة وافية عن المدينة وما حولها.

كما أنهم شرحوا لنا على أرض الواقع معركة بدر حتى كدنا نرى الجيشين وهما يتقاتلان أمامنا.

على كل حال فأنا أنصحكم أيها الإخوة والأخوات أن تزوروا بدراً لكي تعيشوا يوماً من أهم أيام التاريخ الإسلامي، وتنهلوا من كرم ولطف أهل تلك المدينة السعيدة.

لكن هناك مشكلة حيث إنكم لن تتمكنوا من زيارة بدر بسهولة.

ذلك لأنه لا توجد أي لافتات توجه الزائر إلى بدر.. فلا لوحة ولا إشارة طيلة الطريق تدلكم إلى بدر!

(الناصفة) وهي قرية صغيرة تقطنها ناقتان وعنزة لها إشارات ولوحات طول الطريق أما بدر فهسس!

الأمر كان يمكن أن يفسر تفسيراً بريئاً لهذا التجاهل الذي يثير الريبة لولا شكوى أهل بدر من هذه المشكلة للجهات المعنية في وزارة النقل وعلى مدى سنوات طويلة دون جدوى.

الأمر إذاً أكبر من مجرد سهو أو خطأ، وهذا يتضح جلياً إذا أخذنا بعين الاعتبار المجهودات التي تقوم بها بعض الجهات المتطوعة لطمس كل الآثار التاريخية للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في بلدنا الحبيب.

ففي بدر نفسها تم هدم سور كان يحيط بشهداء بدر حتى تضيع معالمه، وينسى الناس أين دُفن الصحابة الذين استشهدوا في تلك الموقعة. هذا فضلاً عن آثار التخريب الذي امتد إلى مسجد "العريش" التاريخي والتي يمكن مشاهدتها على مدخل المسجد.

صحافتنا تعج بأخبار هؤلاء الذين أخذوا عهداً على أنفسهم لمحو كل أثر لنبينا عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام بحجة محاربة البدعة. فقبور صحابة تُنبش، ومساجد تاريخية تهدم، وحتى غار أحد لم يسلم من هؤلاء."

إلى متى ستستمر هذه المواجهة مع ذاكرتنا البنائية والجغرافية؟

على كل حال ، في السابع عشر من رمضان القادم (إن الله أحياني) سأكون في بدر مع أصحابي البدريين وغيرهم لإحياء ذكرى هذه الموقعة التاريخية وسيرة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم رغماً عن أنف "الدنمارك" وأهلها.

صحيفة المدينة ـ ٥ مارس ٢٠٠٦

حجاجا ومعتمرين لمشاهدة مرابع أسلافهم الأوائل، واستحضار بدايات تاريخهم الديني والروحي.

ما بقي من مواقع، يعد على أصابع اليدين، بسبب التطور والتوسع العمراني، واختلاف النظرة الفقهية إليها وغيرها (ولا نظن غيرها من الأسباب سوى التعصب الأعمى، وازدواجية المعايير، والنزعة الوصائية على الدين، وتحقيق مآرب خاصة).

صعود جبل النور

يشرف جبل النور على أباطح مكة، ويبعد عن المسجد الحرام نحو عشرة كلم مربعا، وهو متميز بتشكيله الصخري الذي لا تخطئه أعين القاصدين خصوصا المتجهين إلى مدينة الطائف عبر طريق السيل الكبير، وقد وصفه مسلم ابن خالد بأنه "جبل مبارك قد كان يؤتى". وللجبل فضائل أوردتها كتب التاريخ على أنه سبب تسميته بجبل "النور"، ويبدو أنها من فعل المتأخرين، كرمز إلى طلوع الشمس المحمدية وبداية نشر نور الإسلام منه فسمي بهذا الاسم.

والناظر إليه يشعر بفيض روحاني يغمره، شديد الوعورة، وليس له غير ممر وحيد لارتقائه من ناحية الجنوب الغربي، وتحوطه بيوت من كل جانب، معظم سكانها من قبيلة "هذيل" العربية الأصيلة.

ويمكن تقسيم صعود الجبل إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى وهي أصعبها وعورة ومشقة، تبدأ من عند لوحة كبيرة وضعتها هيئة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" تنهى القادم عن أخذ شيء من تراب الجبل أو زرعه أو حجارته، وتؤكد فيه أنه لم تشرع الزيارة إليه أو الصلاة فيه. وهي مكتوبة بثلاث لغات، العربية والأوردو والإنجليزية، لكن بعض القادمين استغلوا فرصة عدم توفر المرشدين، ولعله بسبب المشقة في صعود الجبل، فلم يفوتهم أن يسجلوا عليها أسماءهم وتاريخ قدومهم، كتذكار لمن جاء بعدهم.

وبالتجربة، ربما يحدث القادم نفسه إلى ترك ما جاء إليه من الصعود إلى غار حراء بسبب الإرهاق الشديد الذي يصيبه عند هذه المرحلة الصعبة. ويستغرب الزائر كيف فات على المستثمرين طوال الوقت التفكير في مشروع تجاري ناجح يتمثل في إنشاء (تلفريك) يحمل القادمين إلى غار حراء، عبر محطات تتوفر فيها الاستراحات الحديثة ودورات المياه النظيفة.

ولعل شدة الإقبال عليه توفر أرباحا معقولة، إلى جانب أنها ستوفر ضمانا أكبر لتوفير مرشدين للموقع وفق الضوابط الشرعية.

ومن الطريف هنا ما رواه صاحب (فوات الوفيات) في ترجمة طويس بن عبد الله المدني المغني المتوفى سنة ٩٢هـ وكان يضرب به المثل في الحذق والغناء، وأيضا في الشؤم قوله: صعد طويس يوما على جبل حراء فأعياه وسقط كالمغشي عليه تعبا!. فقال: يا جبل.. ما أصنع بك؟ أشتمك لا تبالي.. أضربك لا يوجعك، ولكن يا شماتتي بك يوم تبقى كالعهن المنفوش.

في الثلث الثاني، تبدو الوعورة أخف وأرحم، ومما يسهل المشقة وجود صخور طليت باللون الأبيض كعلامات تدل القادم إلى أسهل الطرق صعودا من خلال الصخور المتقاربة التي أشبه ما تكون بعتبات حجرية غير متناسقة.

ويزداد الإقبال إلى جبل النور في المواسم الدينية، لاسيما موسم الحج. حيث يعج بكثرة مرتاديه ومن كل الجنسيات، رجالا ونساء وأطفالا، ويشهد على ذلك كثرة ما نقش على حجارة الجبل على طول الطريق من أسماء القادمين وبمختلف اللغات، لكنه لا يخلو من القادمين طوال أيام السنة، خصوصا من العالم الإسلامي، كما أنني رأيت شبابا سعوديين دون الخامسة والعشرين في مجموعات يصعدون إلى الجبل بغية مشاهدة الغار والتعرف عليه.

وحسب المشاهدة، وفي خلو الرقيب، يلتزم القادمون بالأدب الإسلامي في هذا المقام، ولا يصرفون عليه شيء من التقديس كتقبيل الحجارة أو البكاء عندها والتمسح فيها، ويحرصون على خلع أحذيتهم عند الغار، وإعطاء الفرصة بأريحية واضحة لكل قادم بالدعاء في جوف الغار دونما جلبة أو مزاحمة.

ولكن ما يؤخذ عليهم عدم الالتزام بنظافة الجبل، وكثرة الكتابات على الحجارة خصوصا داخل الغار بشكل يشوه المكان ولا يحترم خصوصيته ووضع صدقات مالية تحت الحجارة.

وفي الثلث الأخير صعودا، وهو أيسر المراحل الثلاث، تجد فيه درجا معبدا بطريقة عشوائية، قام بعمله متطوعون تقربا إلى الله بفعلهم. ولا تلبث أن تلقى عددا منهم في ثنيات الصعود وهم يهمون بتكسير الحجارة، وتشذيبها ورصها على هيئة درج صخري مغطى بالإسمنت، يتسع أحيانا إلى أربعة من الرجال دفعة واحدة.

وتلحظ تحت حجارة صغيرة صدقات مالية، من عملات مختلفة، كمشاركة من القادمين الذين عرفوا مشقة الطريق وذاقوا وبال وعورته، ومكافأة لهؤلاء المتطوعين على حسن صنيعهم، ورغبة في أن يواصلوا ما بدأوه من عمل نافع يخفف المشقة على من جاء بعدهم.

وتتعدد في هذا الجزء الاستراحات الخشبية المظللة بالصفيح لاتقاء حرّ مكة وشمسها اللاهبة، وتقدم فيها المرطبات الباردة والماء والمشروبات الساخنة كالشاي والقهوة. وفيها مصليات صغيرة مفروشة بقطع من السجاد الصناعي المستهلك، ويباع فيها أيضا هدايا بسيطة من سبح وأحجار كريمة وخواتم وعدادات يدوية تحصي تهليل المتعبد وتسبيحه.

ويتملكك العجب حين تفاجأ برؤية "جمل" واقفا على جرف شاهق في هذا العلو من الجبل، وهو بكامل زينته، وهو مهيأ للتصوير فقط يعمل



لماذا بقيت آثار آل سعود وأزيلت آثار الرسول؟

أحد الجبال الخمسة، التي بنى بها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام الكعبة المشرفة، فقد أورد أبي الوليد الأزرقي في كتابه (أخبار مكة وما جاء فيها من آثار) عن سعيد عن قتادة في قوله عز وجل: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد" قال: (ذكر لنا أنه بناه من خمسة جبال: من طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان، والجودي، وحراء. وذكر لنا أن قواعده من حراء).

وأورد الأزرقي في كتابه أيضا (عن أنس ابن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما تجلى الله عز وجل للجبل "طور سيناء" تشظى فطارت لطلعته ثلاثة أجبل فوقعت بمكة، وثلاث أجبل فوقعت في المدينة، فوقع بمكة حراء وثبير وثور، ووقع بالمدينة أحد، وورقان، ورضوى).

يقول الكاتب الصحفي عمر المضواحي المهتم بتاريخ الأماكن المقدسة: لم أقف على حقيقة

عليه نفر من الباكستانيين الذين يكسبون قوتهم من ظهر هذا الحيوان البائس.
والصورة الفورية مع جمل الزينة هذا بعشرة ريالات، أما إذا كانت لك رغبة بتصويره بكاميرتك الخاصة فخمسة ريالات تكفي. وهذا نوع من الاستغلال التجاري لأهل الآفاق من ذوي الحيل في الارتزاق!.
في أعلى الجبل لن ترى قط منظرا لمكة المكرمة بكل هذا البهاء والجمال. أحياء سكنية مبثوثة عبر الأودية والبطاح وسفوح الجبل. يغلب عليها لون البياض مما يزيدها ألقا وجمالا. وفي الأعلى مصلى لا يتسع إلا لإمام وثلاثة مصلين فقط بجانب استراحة صغيرة تبيع الماء والقهوة والشاي، وتهب عليك من كل الجهات نسمات باردة تنسيك رويدا رويدا مشقة الصعود.

على مدخل باب غار حراء

يقع غار حراء على اليسار من قمة جبل حراء وهو عبارة عن فجوة بابها باتجاه الشمال، طوله أربع أذرع، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع الذراع، يتسع للرجل البدين ويقف فيه الرجل الفارع ويتسع لبضعة رجال يصلون ويجلسون والداخل للغار يكون متجهاً للكعبة مباشرة، ويتسع الغار لخمسة أشخاص جلوساً وارتفاعه قامة متوسطة.
ويستطيع من فيه أن يشرف على الكعبة لانحناء فيه، كما يمكنه رؤية الجبال المحيطة بالمنطقة، وقد عُرف الغار بهذا الاسم قديماً.
على مرمى بصرك إلى الأسفل تشاهد الغار، وللوصول إليه لابد من النزول عبر عتبات إلى مدخل الغار، وتفاجأ أن المدخل عبارة عن صخور كبيرة متراصة بعضها فوق بعض بينها فجوة صغيرة شديدة الضيق بطول نحو ثلاثة أمتار تجتازها بشكل إفعواني يتناسب مع تكوين الصخور الغريبة، وهي مسننة ومدببة كأنها مزلاج والداخل عبرها بمثابة المفتاح.
ومن غريب ما يروى أنه مهما كان حجم الداخل طولا وعرضا، فإنه لن يعجز عن الدخول، وهذا من أسرار المكان حسب العارفين به.
ما أن تدلف المدخل العجيب، حتى ترى صخرة مستوية تكفي لجسد إنسان متمدد على يسار الداخل، لها باحة ضيقة، وكل هذا المكان مغطى بسقف الجبل، حماية للقاطن فيه من برد الليل وحر النهار، والأمطار الموسمية، وعلى بعد خطوات باحة صغيرة مفتوحة تشاهد منها السماء وتطل منها على الأودية على الجانبين الغربي والجنوبي من الجبل، ولا تتجاوز مساحتها الكلية ستة أمتار مكعبة فقط، وفي اتجاه القبلة تشاهد غار حراء.
والغار عبارة عن تجويف صخري صغير داخل حجارة عظيمة رصت بعناية إلهية واضحة كالمظلات الشمسية باتجاه القبلة تعلوها في الجانب الأيمن فتحتان صغيرتان تجددان هواءه، ويأنس الناظر من إحداها برؤية منارات المسجد الحرام وهي شامخة في عنان السماء، كأنها تخاطب الغار وتطمئنه بالنداء الخالد.. الله أكبر.
وتشم في الغار الطيب والمسك والعنبر الذي يحمله الزائرون، وتقاس مساحته بالسنتيمترات طولا وعرضا، وتتراءى لك فور دخولك في هذا المكان أول سطور في سفر الإسلام الخالد، فهنا خلوة النبي محمد وملاذ تأمله، وهنا نزل جبريل الأمين، ومن هنا جاءت أم المؤمنين خديجة بزوادة الطعام والماء لزوجها المنقطع عن صخب العالم وشغبه، وعن باطل قريش وشركهم.

غرفة مبيت وباحة ومصلى

ويواصل المضواحي وصفه لقصة صعوده ودخوله الغار فيقول: ليس هناك فيما أعلم، مكان مهيأ للاعتكاف والعزلة بأفضل من هذا الغار، فهو أشبه بمسكن صغير يشتمل على غرفة للمبيت، وباحة للنقاهة، ومصلى للتبتل والعبادة. كما أنه لا يخلو من دلالات واضحة تحمل معنى العلو والسمو للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى في مجرد اختبائه والفرار بدينه هرباً من ظلم قريش لمعتقده الجديد.
وأينما مددت بصرك هنا، ستحاصرك الأسئلة من كل جانب، من دلّ النبي على هذا الغار الغامض المستتر؟.. وكيف كان يعيش قبل بعثته بالرسالة في هذا المكان؟.. وكيف كان يقضي وحشة الليل لسنوات في هذا الظلام وعلى هذا الارتفاع السحيق؟.. عبثا تحاول أن تستوعب مدى قوة هذه الإرادة والصلابة ورباطة الجأش. لا ريب.. أن غموض الأمر وأسراره، قد تفسره تلك الفيوض الروحية التي تعبق أجواء المكان.
وليس هناك في بقية المواقع التاريخية، ما هو أضيق حيزا وأكثر تحديدا من هذا المكان الذي نعم لسنوات بجوار النبي وملامسته جسده الشريف، وهو معزز باليقين الثابت بنصوص القرآن الكريم، وعين المكان الذي شهد إرهاصات النبوة الخاتمة، وتم فيه أول لقاء بين صفوة خلق السماء مع صفوة خلق الله تمهيدا لبعثته.
ويشير الدكتور احمد خليل إلى تفاصيل زيارته لجبل النور فيقول: أثناء زيارتي للغار مؤخرا بكرت للخروج لها بعد صلاة الفجر، وبدأت في صعود شاق ليس سهلا أو قصيرا.
كان معظم الطريق قد تم تعبيده إن صح هذا التعبير على أيدي متطوعين عبر القرون، ومع هذا التعبيد فإن الوصول إلى الغار على قمة الجبل لا يتيسر إلا بصعوبة شديدة. ويقع الغار على قمة الجبل، أمامه منعزلان فيختفي طريق الدخول إليهما بين صخور ضخمة متلاصقة لا تظن العين العابرة أنه يمكن المرور من خلاله.
الجزء الأعلى من جبل النور شديد الوعورة والانحدار إلا من الجهة الشرقية، ويوجد غار حراء دون قمة الجبل بنحو عشرين مترا، ولابد للوصول إليه من الوصول للقمة أولا ثم الهبوط إلى موقع الغار، وقد صادفتني استراحة بدائية في طريق الصعود، يستظل الصاعدون من الشمس الساخنة رغم الصباح، ويروون العطش بالمياه المعدنية، ويشترى من يرغب صورا لمعالم إسلامية أخرى.
وعلى مدار السنوات يتم تعبيد بدائي بواسطة متطوعين يعتمدون على صدقات الصاعدين إلى الغار كما يبدو من قمة الجبل، وأمامه شرفة شبه طبيعية ربما ساهم في نحت السور الصخري إلى اليمين المتطوعون على مر القرون حماية للزائرين.



البردة النبوية ملفوفة في (بقشة) من الحرير

وبعد النزول الحاد على درجات إلى غار حراء من القمة، وبعد هبوط الدرجات المنحدرة يجد الإنسان نفسه وكأنما وصل إلى نهاية طريق، فهناك صخور ضخمة متلاصقة إلى اليمين، ومنحدر الجبل الحاد إلى اليسار والأمام.
ويضيف: وقفت حائرا مترددا لدقائق قبل أن أجد شخصا خارجا من شق ضيق بين صخرتين، يسمح بالكاد وبصعوبة بمرور شخص متوسط البنية، وإذا هذا الشق يؤدي إلى ممر يضيق ويتسع وينتهي بفتحة خفيضة ينحني المار للخروج منها، ليجد نفسه في مظلة طبيعية ثم الرحبة أمام غار حراء.
والغار إلى اليسار صخور متقاربة لا تظن العين العابرة أنها تؤدي إلى مكان آخر، ففي نهاية الممر بقعة اختارها النبي لتعبده وتأمله قبل البعثة، وكرمها الله بجعلها المكان الذي فيه أول نزول القرآن الكريم، المكان المرادف لزمان ليلة خير من ألف شهر.

فرّاج اسماعيل - العربية نت بتصرف وزيادة

(٣)

محو الآثار الاسلامية في السعودية بين السياسة والدين

د. سعيد الشهابي

قبل بضع سنوات ألقى الدكتور أحمد زكي يماني، وزير النفط السعودي السابق، محاضرة بكلية الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن حول مشروع قام به للتنقيب عن منزل النبي محمد وخديجة عليهما السلام في مكة. كانت المحاضرة قيمة جدا، حيث اشتملت، بالاضافة للنبذة التاريخية عن تاريخ المنزل، على صور فريدة من نوعها للموقع الذي تم تنقيبه، واظهرت غرفه بوضوح ومنها محراب الرسول وغرفة ولادة السيدة الزهراء. يقول الدكتور يماني بانه جاء بأكثر من ٣٠٠ عامل ومعهم كل ما يحتاجونه من معدات، الى الموقع، بالاضافة الى مهندسين وأخصائيين في التنقيب عن الآثار، وقام الفريق بعمل نادر على مدار ٢٤ ساعة. استطاع خلالها كشف المنزل الذي لم يبق منه سوى ارتفاع متر من حيطانه، وبعد ان صوروه بشكل مفصل، قاموا بردمه بالرمل مباشرة وغادروا الموقع. وعندما سئل عن سبب ردمه بالرمل بعد هذا العمل الشاق، اجاب: لدينا في السعودية تيار يعتبر الاهتمام بهذه المواقع والآثار ضربا من الشرك. شخص اردني وقف وقال: كيف تبرر صرف هذا المبلغ الكبير على اكتشاف بيت قديم، ما الفائدة من ذلك؟ فرد الدكتور يماني: شكرا لك، لقد سهلت مهمتي في ايضاح الصورة للحاضرين. هذا نمط من التفكير الذي يحمله ذلك التيار. لقد كان الحاضرون مشدودين الى صور منزل النبي عليه افضل الصلاة والسلام، فهي تحكي تاريخا مجيدا، وقصة مثيرة لنشوء دين الاسلام، ولو كانت لدى غير المسلمين لحظيت باهتمام كبير، واستقطبت الزوار والسياح من كل مكان.

في الفترة الاخيرة بدأ النقاش في المملكة العربية السعودية، خصوصا في اقليم الحجاز، حول هذه القضية يأخذ ابعادا جديدة، وطرحت تساؤلات مثيرة، خصوصا بعد ان بدأت تلك الاعمال تصل الى مناطق اخرى غير السعودية. فهل ان ذلك جزء من حرب دينية ام سياسية؟ وما دور السياسيين في تشجيع الظاهرة؟ وهل هي صراع على المصالح ام ناجمة عن جهل وتعصب؟ لقد كان تدمير تمثال بوذا في مدينة باميان الافغانية في ٢٠٠٢ قد سلط الاضواء على هذه الظاهرة التي تهدف للقضاء على كل ما يعتبره التيار السلفي وسيلة من وسائل الشرك. وقبل بضعة اسابيع قام بضعة أشخاص بتدمير قبر هاشم بن عبد مناف، جد الرسول الاكرم (ص) بمدينة غزة الفلسطينية. واتهم مدير دائرة التوثيق في وزارة الاوقاف الفلسطينية عبد اللطيف ابو هاشم جهات سلفية وهابية تتحرك بايعاز من بلاد اخرى بالوقوف وراء هذه الجريمة، موضحا ان هذه الجماعات اقدمت على هذا الفعل اعتقادا منها ان من يهدم المقامات والمزارات والمعالم الاسلامية يؤجر عند رب العالمين . ويعتبر القبر واحدا من اهم المعالم الاسلامية في فلسطين المحتلة.

مرتكبو هذه الافعال يستندون الى مقولة تنسب للشيخين محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية تعتبر زيارة القبور من البدع، ومظهرا من مظاهر الشرك. لا شك ان هناك ارضية تتخذ طابعا دينيا لهذه العقلية، لكن هذه الارضية حديثة العهد. فما بين عهد الرسول عليه افضل الصلاة والسلام، وعهد ابن تيمية المتوفى عام (٧٠٨ هـ – ١٣٠٨م) وتلميذه ابن القيم المتوفى سنة (٧٥١ هـ . ١٣٥٠م)، سبعة قرون ونصف مضت على المسلمين وهم لا يعرفون في أمورهم الشرعية مسألة تثير التشنج والخصومة بينهم باسم مسألة البناء على القبور، حتّى أفتى ابن تيمية بعدم جواز البناء على القبور، وكتب يقول: اتفق أئمة الإسلام على أنّه لا يشرع بناء هذه المشاهد التي على القبور، ولا يشرع اتّخاذها مساجد، ولا تشرع الصلاة عندها . ثمّ جاء بعده ابن القيّم الجوزية الذي قال: يجب هدم المشاهد التي بُنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً . وجاء بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة (١٢٠٦ هـ . ١٧٩١ م) فحوّل التشدّد والخشونة إلى مذهب فقهي يعتمد على التكفير والاتهام بالشرك والتهديد بهدر الدم وسبي الذراري لكل من ارتكب سبباً من أسباب التكفير عنده، وما أكثرها! بل ولكل من خالفه في تكفير المتهمين بالكفر عنده. هذه الظاهرة التكفيرية تمثل ارضية صلبة للقوى التي تسير على ذلك النهج، والتي تستحل دماء المسلمين الآخرين الذين يختلفون مع هذا النهج. وعلى مدى المائتي عام الاخيرة قام المحسوبون على هذا التيار بهدم عدد كبير من الآثار والقبور الاسلامية في أكثر من بلد، الامر الذي أثار ضجة كبيرة في اوساط المسلمين لعدد من الاسباب. اولها ان محو الآثار الاسلامية يعني القضاء على تراث معماري وفني وثقافي لا يمكن تعويضه بشيء. وثانيها: ان الاعتداء على ما يعتبره الآخرون أمورا مقدسة يؤدي الى اثارة التوتر المذهبي والديني، وقد ينجم عن ذلك سفك الدم. وثالثها: انه يسلب عن الاسلام السمة التي لازمته منذ بدايته، والتي يسعى الجميع للترويج لها، وهي انه دين متسامح، يحترم عقائد الآخرين، ويمنع الاعتداء على مقدساتهم واماكن عبادتهم، لان في ذلك تهديدا للسلم الاجتماعي والعلاقات الانسانية. ورابعها: ان استهداف مقابر الشخصيات الاسلامية التاريخية ينطوي على اهانة لقدرهم، واستخفافا بقيمتهم، وهو ما لا يتنافى مع التعليمات الدينية.

ان ظاهرة هدم القبور والآثار الاسلامية ليست جديدة. فقد أمر المتوكل العباسي في العام ٢٣٦ هـ بهدم قبر الامام الحسين، وحرث الارض التي كان عليها، ثم اجري الماء فيها. لم تكن تلك العملية ذات طابع ديني، بل كانت بدوافع سياسية تتصل بالعلاقة المتوترة بين العلويين والعباسيين، والخشية من تحول المساجد التي تقام حول قبور بعض الاولياء والصالحين الى بؤر للمعارضة السياسية تارة، والتحدي الديني تارة اخرى. وفي القرون الاولى بعد الاسلام لم تكن هناك رؤية دينية معادية للآثار الاسلامية او الانسانية، وحتى اذا حدث اعتداء على قبر او مسجد، فانما يتم ذلك في اجواء احتقان سياسي وتوتر في العلاقات بين الدولة والرمزية الدينية. ولكن الامر تغير في القرون الاخيرة، خصوصا بعد حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر التي أسست للطرح السلفي الذي ازداد انتشارا في السنوات الاخيرة. فعلى مدى المئتي عاما الماضية سعى اتباع الدعوة الوهابية لتطبيق تعليمات مؤسسها حرفيا. وحيث انه اعتبر التوسل بالاولياء والصالحين او زيارة قبورهم من الشرك، فقد تصاعدت الاعتداءات على المساجد التي تقام حول قبور بعض الصالحين، الامر الذي يلقي بآثارة السلبية على العلاقات بين اتباع المذاهب الاسلامية المختلفة. واصبحت الجزيرة العربية مسرحا لهذا الصراع الديني الذي اتخذ ابعادا سياسية واسعة. ويمكن القول بان ما يقرب من ٩٠ بالمائة من الآثار الاسلامية في المملكة قد تم تدميره من قبل المؤسسة الدينية القائمة على تعليمات الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وتزداد نزعة الوهابيين بشكل مضطرد لتدمير المساجد والمكتبات والمقابر خصوصا التي تتوفر على قدر من الرمزية لشيء مخالف للعقيدة الوهابية.

في العام ١٩٢٤ احتل عبد العزيز بن سعود وقواته مدينة مكة المكرمة، وكان اول اعمالهم ازالة اثار مقبرة (المعلى) التي تضم قبر السيدة

خديجة زوجة الرسول وقبر عمه، أبي طالب. وبعد عامين (١٩٢٦) احتل بن سعود المدينة المنورة، وقام هو واتباعه بهدم آثار مقبرة البقيع التي تضم قبور عدد من أهل بيت رسول الله ومنهم ابنته فاطمة الزهراء وحفيده الحسن بن علي والكثير من الصحابة. كما هدموا المساجد السبعة في المدينة: مسجد الفتح (او الاحزاب) ومسجد سلمان الفارسي ومسجد أبي بكر ومسجد عمر ومسجد فاطمة ومسجد علي ومسجد القبلتين، وحولوا بعضها الي صرافات الكترونية. وقد انتقد عدد من الكتاب السعوديين هذا العمل، فكتب محمد الدبيسي مقالا في صحيفة المدينة بتاريخ ١٠ ايلول/ سبتمبر ٢٠٠٤ بعنوان: بإزالة هذه المساجد تفقد المدينة المنورة معلماً من معالم تاريخها الخالد ومنارة من منارات سيرتها العطرة . فرد عليه صالح الفوزان، وهو من رموز السلفيين، بمقالة في العدد الصادر بعد اسبوع مبررا تلك العملية. وقام الوهابيون بهدم قبة قبر الحمزة بن عبد المطلب، وازالوا مقبرة شهداء أحد، وأزالوا طريقي بدر وأحد. وثمة نقاش محتدم في الفترة الاخيرة حول التوجه لهدم غار حراء الذي كان الرسول يتعبد فيه قبيل نزول الوحي عليه. هذا الغار ليس سوى تجويف صخري في الجبل، ولا يحتوي على شيء بشري، سوى انه يرمز الى رسول الله وتعبده الى الله قبل البعثة. وقبل اربعة اعوام تم إزالة أحد المعالم الدينية والمراكز الإسلامية الأثرية في المدينة المنورة بالسعودية. وذكرت المصادر القريبة من الحدث بأن جرافات ومعدات عديدة قامت في صباح يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٢/٨/١٢م بالتجهيز لهدم مقام السيد علي العريضي (٧٦٦ ـ ٨٢٥م). وهناك الآن اجازة بهدم قبر الصحابي رفاعة بن رافع الزرقي وهو ممن شهد بدراً وأحداً والمسجد القريب منه المعروف باسم الكاتبية ، ويتوقع هدم المبنيين قريبا. ومنذ عهد الملك عبد العزيز دار نقاش حول مكان مولد النبي، واتخذ قرار بازالته، ولكن الخشية من ردة فعل عارمة دفعتهم لبناء مكتبة عليه، وفي الاسابيع الاخيرة هناك محاولة لإزالة الموقع تماما. وهناك ايضا خطة لفصل قبر النبي عن المسجد النبوي، وقد بدأوا بتهيئة الاجواء لذلك، بغلق بعض الابواب بين المكانين. اما الكعبة الشريفة فهي الأخرى لم تسلم من العبث، فقبل بضعة أسابيع تمت مصادرة ما بداخلها من آثار تاريخية لا تقدر بثمن، ومنها الستائر والكتابات المنقوشة بالحرير.

في ٢٥ آب/ اغسطس ٢٠٠٥ نشرت قناة العربية علي موقعها مقالا مهما بعنوان مشروع تخطيطي جديد في المدينة المنورة يثير حفيظة المهتمين بالآثار، مؤرخون ومفكرون يدعون لمراجعة قضية هدم الآثار في مكة والمدينة . وجاء في المقال ما يلي: تثير المخططات الجديدة في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، حفيظة المؤرخين والمهتمين بالآثار في المملكة العربية السعودية لبترها معالم أثرية وتاريخية هامة يرون أن وجودها لا يمكن أن يؤدي لبدعيات أو الي التبرك بها. ورأى المفكر المعروف الدكتور أنور عشقي في اتصال هاتفي أجرته معه العربية.نت أنه يجب دراسة قضية الآثار بعمق ووضع خطة متكاملة لها وليس علاجها بمعاول الهدم. وقال إنه ليس هناك مبرر للادعاء بأن الأثار الباقية في المدينة المنورة وهي لا تزيد عن ١٠٪ مما كان موجودا قبل توسعة الحرم النبوي الشريف، ستؤدي إلى بدعيات أو إلى التبرك بها. بينما طالب الدكتور سامي عنقاوي الباحث المتعمق في أثار مكة والمدينة ومدير أبحاث الحج السابق برؤية شاملة لعلماء الأمة، مؤكدا أن آثارا قليلة جدا قد بقيت، وان استمرار الهدم يطمس تاريخنا وحضلرتنا . وكانت جريدة الوطن السعودية قد نشرت الخميس ٢٠٠٥/٨/٢٥ بأنه بات من المؤكد أن يأتي مخطط المدينة الاستراتيجي الذي تنفذه أمانة المدينة المنورة علي أحد أهم الأحياء التاريخية فيها. وقالت إنه لم يتبق سوى بضعة أمتار يتوقع لها أن تلتهم في غضون الأشهر الثلاثة المقبلة معالم حي الشريبات التاريخي الذي يختزل حزمة واسعة من المواقع الأثرية المرتبطة بالسيرة النبوية، والتي يعدها المؤرخون شاهدا حيا على عظمة الدولة الإسلامية الأولى، عندما كانت المدينة المنورة عاصمتها الأولى.



غار حراء: منه بدأ النور الذي يريد التعصب إطفاءه

لقد استطاع عبد العزيز بن سعود توحيد اقاليم الجزيرة العربية في دولته السعودية الحالية، ولكنه أقامها على أرضية دينية تتبنى المذهب الوهابي، الامر الذي ادي الي تدمير اكثر من ٩٠ بالمئة من الآثار التاريخية القيمة في هذه الارض. انه منطلق ديني أصبح يضغط علي العلاقات بين الأقاليم المنضوية تحت الحكم السعودي. فالحجازيون هم الخاسر الاكبر دينيا وسياسيا من عمليات الهدم هذه. فأغلب الآثار الاسلامية كانت موجودة في اقليمهم، ويرون في تدميرها محاولة لازالة تراثهم التاريخي الديني، علي ايدي النجديين. ويلاحظ الحجازيون ان منطقتين وحيدتين لم تطلهما ايادي الهدم. فمنطقة خيبر ما تزال تحتوي على آثار مرتبطة بتاريخ اليهود. كما تتم المحافظة على آثار الملك عبد العزيز بن سعود وتعتبر تراثا وطنيا. فحصن الرياض يحظى برعاية خاصة، وكذلك قلمه وسيفه ونظارته. وهكذا تبدو القضية بعيدة عن الدين، وأكثر ارتباطا بصراع الهويات، وهو صراع مفتوح بآفاق واسعة. ان من الصعب التمييز بين ما هو ديني وما هو سياسي في مملكة عبد العزيز بن سعود، ولكن ما هو واضح ان غفلة المسلمين وانشغالهم بأوضاعهم السياسية أتاحت للحركة السلفية الوهابية فرصة الانقضاض على ما تبقى من آثار اسلامية في الجزيرة العربية، وانتقلت الى العراق، حيث تم تدمير ضريح العسكريين في مدينة سامراء. ولا يستبعد ان تكون مساجد اخرى على قائمة الهدم، كما فعل الوهابيون عندما هاجموا العراق في ١٨١٦ وهدموا قبة قبر الامام الحسين ونهبوا محتويات الضريح. فما أشبه الليلة بالبارحة، وما أخطر الوضع الذي بدأ بعض الاعلاميين السعوديين الجريئين في قرع أجراس الانذار بشأنه. ان المسألة ليست شأنا سعوديا، بل هي شأن المسلمين الذين يرون تاريخهم تدمره معاول الهدم بلا وازع من ضمير، ولا مانع من قوة سياسية. فالامة التي لا تاريخ لها لا حاضر لها ولا مستقبل. ومن الخطأ الكبير تشويش الافهام بادعاء ان الحفاظ على التاريخ وآثار السابقين ضرب من البدع والشرك، فان وراء الأكمة ما وراءها، ووراء هذا الادعاء أجندة سياسية خطيرة، يجدر بالمسلمين قراءتها بوعي لكي لا يفاجأوا بما لا يحبون.

القدس العربي ـ ٢٠٠٦/٤/٥

تحالف المباحث مع التطرّف مع القضاء الفاسد

ملاحظات على اعتقال الصحافي رباح سعود القويعي


الصحافي المعتقل رباح القويعي

السعودية بلد اللاقانون.

في الحقيقة هي بلد اللامعقول.

بلدٌ تخرق فيه التحالفات المنفعية كل المحظورات الدينية والأخلاقية.

بلدٌ مؤسس من قاعه حتى رأسه على الظلم والتجاوز. هذه ليست تعليقات انفعالية.. ومن يقرأ هذه المجلة ويتابع تغطياتها للتجاوزات المشينة من القضاء والأمن وكل ذي سلطة، يدرك أن السعودية غابة حقيقية، ولكن تدثرها شعارات ومفردات الإسلام والحكم الإسلامي والشرع وغيرها!

في واقع الأمر، قد يعتقل المرء بلا سبب! نعم بلا سبب! ويزجّ به في السجون عقوداً بلا سبب ايضاً، لأن ليس له إضبارة حتى تفيد من الذي اعتقله ولمَ!

يسمع الناس عن التجاوزات في مصر وتونس وسوريا وعراق صدام وما بعد صدام، وكأن بلد (الملائكة) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لمجرد أن مجموعة تدّعي التطهر ولكنها في الواقع تعمل على إعاثة الفساد في البلاد بالتحالف مع السلطان ومع القضاء الفاسد.

في كل يوم نسمع قصة جديدة.. عن محنة يتعرض لها كاتب أو صحافي أو حتى مواطن عادي، فهذا تنهب أملاكه من أمير، وذاك يختطف من الشارع الى السجن، وثالث يضرب في الشارع ثم يقال له: آسفين أنت لست المقصود، كان شخصاً آخر! ورابع: يصحو من النوم فيجد أن شركته قد أصبح نصفها مملوكاً لأمير، وخامس يجلد لأنه وجد في الشارع وقت الصلاة، والقائمة طويلة لا تنتهي.

المثير هو هذا التحالف بين التطرف الوهابي وقضاة الوهابية من جهة وآل سعود ومباحثهم من جهة أخرى، حيث لا يسمح بأن يكون هناك قاض غير وهابي. ولكم أن تتصوروا أحداً يخالف احد المشايخ أو يتصدى لقضية طرفها أحد متطرفي الوهابية، شخصاً أو فكراً!، كيف سيحكم القضاء؟ لقد أثبت القضاة أنهم متطرفون، بل هم معقل التطرف والظلم، مع أن معظم الكتاب يخافون اتهام القضاء، لئلا يجلبونهم الى عدالتهم فيحكمون عليهم بالسجن والجلد. المديح للقضاء السعودي من قبل الليبراليين مجرد خوف ولا تمثل حقيقة على الأرض. ولذا يخاف معظم المواطنين من (حكم الشرع الوهابي) وهو ليس حكم شرع، بل حكم قضاة الوهابية الظالمين.

ولذلك تسمع مشايخ وكتاب وأمراء آل سعود أيضاً، الحماسة للرجوع الى القضاء في المسائل المثيرة او المعارضة لهم، لأنهم يعرفون الأحكام مسبقاً، ويعرفون أن هذا الثلاثي البغيض يحكم المواطن في الشارع وفي المدرسة وفي الصحيفة وفي الإعلام وإن تعدّى حدود آل سعود، فلا يوجد إلا القضاء (الوهابي السعودي العادل جداً جداً)!

وأمامنا الآن قصة جديدة من قصص الوهابية وآل سعود وهيئات أمر منكرهم وقضائهم الزائف.

إنها قصة إعتقال الصحفي رباح بن سعود القويعي، وهو من مواليد حائل وأبوه سعود القويعي يشغل منصب مساعد مدير التعليم في حائل.

كل جرمه أنه يدخل منتدى (الساحات) التكفيري، فيعكر على دعاة العنف والإرهاب والتطرف صفو عيشهم، مع أنه يكتب بإسمه الصريح وليس مثل الخفافيش الأخرى، الداعمة للإرهاب، أو تلك التي تعمل للمخابرات السعودية ومباحث نايف ضمن الموقع نفسه.

حين يكتب الرجل باسمه، هل يخاف من المحاسبة على كلامه؟

لا! لأنه يزن كلماته ولديه الاستعداد للدفاع عمّا كتب.

حين اعتقل الصحافي رباح، حاول أهله ومحبوه ان يخرجوه بكفالة، فرفض السلفيون وقضاؤهم ومباحثهم!

وحين طلب الصحافي قينان الغامدي، بصفته عضواً في هيئة الصحافيين السعوديين، موعداً مع محمد بن نايف، رفض الأخير ذلك!

وحين توكل عنه المحامي الإصلاحي عبدالرحمن اللاحم، منعوه مخالفين في ذلك نظام الأحكام الجزائية، وأسرعوا باتجاه إصدار الحكم ضدّ الضحية!

ما هي القضية التي اعتقل بشأنها الصحافي رباح، ومن هم الخفافيش الذين يقفون وراء ذلك؟!

في الخامس من أبريل الجاري، تمّ استدعاء رباح من مقر عمله في صحيفة (شمس) بالرياض الى مقر (مباحث حائل) وهناك اعتقل حتى كتابة هذه السطور.

بأمر مَنْ تمّ الإعتقال؟

إنه بأمر المباحث العامة!

ولكن مَنْ هو صاحب الدعوى؟ ولماذا لم تبت بها المحاكم العادية إن كانت هناك دعوى حقيقية؟

لا أحد يعلم، لكن المرجح أن المباحث التي اعتقلته هي صاحبة الدعوى، وهي التي حققت معه أولاً، ثم حولته على هيئة التحقيق والإدعاء لتحقق معه مرة أخرى بشخوص متطرفيها أو عملائها.

أما التهمة فهي إثارة البلبلة واعتناق أفكار هدّامة ضد الإسلام.. ومن الواضح أن المحققين هم من نفس العجينة التي حققت مع الإصلاحي علي الدميني الذي اعتبرهم من نفس نسخة المتطرفين التكفيريين (كما جاء في كتابه: زمن للسجن، أزمنة للحرية).. ولذا كانت أسئلتهم (خاصة والخصم هما الوجهان الرذيلان المجتمعان على الباطل: المباحث ومتطرفو الوهابية) عجيبة، والإدانة حاضرة إما بوجهها السياسي أو وجهها الديني. من بين تلك الأسئلة التي قدمها المحقق عبدالرحمن الحمدان: متى تشرق الشمس؟ ما هو موعد أذان الفجر؟ في محاولة لإدانة المعتقل بأنه ضالّ لا يصلي الفجر، ولا يعرف مواقيت الصلاة!! وكأن آل سعود يحرقون الله، ويداومون على الصلاة، وهم على ما هم عليه من فجور في الداخل والخارج، لا يفارقون الكأس ولا تملّ كروشهم من أكل الحرام!

تجدر الإشارة الى أن متطرفي الوهابية سبق لهم أن كسروا زجاج سيارة الصحافي رباح، وهددوه بالقتل، كما قال لإحدى الصحف المحلية، وذلك عبر رسائل الجوال والمكالمات الهاتفية.

لجنة دولية تدين اعتقال الصحافيين في السعودية

اصدرت لجنة حماية الصحافيين CPJ بيان عاجلاً في السابع من أبريل من مقرها من نيويورك، أعلنت فيه عن قلقها العميق بشأن استمرار اعتقال الصحافي رباح القويعي والذي قال البيان أنه اعتقل بسبب كتاباته حول التطرف الديني في السعودية. واشار البيان الى أن القويعي يكتب في جريدتي عكاظ وشمس، وأنه مساهم في موقع (جسد الثقافة) وغيره من المواقع السعودية على الإنترنت.

CPJ NEWS ALERT 2006

Saudi journalist detained for writings

وقال محامي المعتقل عبدالرحمن اللاحم للجنة أن الصحافي القويعي حقق معه مرتين، ولم توضح الحكومة سبب الإعتقال حتى الآن. واضاف البيان بأن القويعي انتقد التفسيرات المتطرفة للوهابيين وأنه تلقى تهديدات منهم بالإعتداء، وهشمت سيارته؛ في حين أدانت آن كوبر، المدير التنفيذي للجنة الإعتقال وقالت: (اننا ندين اعتقال رباح القويعي وندعو لاطلاق سراحه فوراً). وزادت: (المسؤولون السعوديون لا يستطيعون القول بأنهم يدعمون إصلاحاً واسعاً للإعلام ثم يقومون باعتقال الصحافيين بسبب ما يكتبون).

حدث في مملكة العجائب!

هذه مجموعة أحداث وقضايا وقعت او نشرت خلال أقل من شهر في مملكة العجائب الوهابية، وتحدثت عن معظمها الصحافة المحلية، ولم يتسع المقام لنشر الكثير من العجائبيات فاخترنا بعضاً منها، فالى ذلك نلفت الإنتباه.

حكم الجاهلية: زوجان يطلقهما القاضي بدون علمهما

تلقت (أم سليمان) فجأة صكاً شرعياً يقضي بالتفريق بينها وبين زوجها الذي تعيش معه، تفاجأت أنه صدر قبل ثمانية أشهر، وتقول أم سليمان أن علاقتها بزوجها علاقة محبة ومودة وألفة، وان لها منه طفلان، وأنها وزوجها لم يطلبا الطلاق ولم يفكرا فيه مطلقاً. فكيف تمَ ذلك على يد أحد قضاة الوهابية؟!

أيعقل حدوث هذا في أي بلد في العالم فضلاً ان يقع في مملكة آل سعود التي تدعي الإسلامية؟!

تقول ام سليمان انها لا تعرف ماذا تفعل بصك الطلاق، وتضيف بأن إخوانها رفعوا قضية لتطليقها من زوجها بدون طلب منها بحجة جاهلية هي (عدم كفاءة زوجها لها في النسب). وبالرغم من بطلان الادعاء من أساسه حيث لا قاعدة شرعية منطقية تدعمه، وبالرغم من أن الزوج أحضر شهوداً يثبتون كفاءته (النسبية!) واصل الإخوة حمل الدعوة بدون رغبة الزوجة (اختهم) والتي لا تريد ولم يكن لها من الأمر شيئاً رغم أنها المعنية بالأمر، ورغم طول مدة الزواج. ولما طال الأمر، وخشية على عش الزوجية قرر الزوجان عدم الذهاب الى المحاكم، بل والإنتقال الى مكان آخر للسكنى فراراً بعشهما فكان ان وصلهما صك الطلاق، في مملكة الرجال الشوهاء!

مشكلتهن أنهن أناث في مملكة وهابية!

فهل هذا دين؟ أم جاهلية؟ أهذا هو الإسلام؟

الأغرب من كل هذا، ان الزوجة التي يراد تطليقها من زوجها بسبب جاهلي لا وجاهة له، تعشمت في المفتي وفي المحكمة العليا الغاء الحكم الباطل، فما كان منهما إلا أن رفضا - كما تقول - مجرد النظر الى القضية لأن حكماً شرعياً وهابياً قد صدر فقضي الأمر الذي فيه تستفتيان!

* * *

هل يريد الوهابيون قبر النبي والكعبة؟!

أما قبر النبي فهم يعدون العدة له، ولم يمنعهم سوى القرار السياسي الذي ينتظر الفرصة المناسبة لتنفيذ الأمر، والإشارات في هذا كثيرة، والأمور تطبخ على نار هادئة. وأما الكعبة فإنها تحتوي على كتابات في جدرانها الداخلية ومنقوشات أثرية سابقة لتاريخ الإسلام، لأن تاريخ بناء الكعبة يعود الى نبي الله ابراهيم. ولقد قام الوهابيون قبل فترة وجيزة بإزالة تلك النقوش والكتابات، وأخذها أحد مشايخهم مع مجموعة الى عرض البحر في جدة فألقيت فيه!

ولقد صدر قبل بضعة اسابيع قرار بتدمير مساجد ومقابر تراثية عمرها يمتد الى مئات السنين، وبعض القبور تتعلق بصحابة رسول الله، والحجة (ليس الخوف من الشرك بتعبير طغاة الوهابية) بل (تطوير المدينة) وغير ذلك من الترهات، والتنفيذ قد يكون بدأ ونحن نكتب هذه السطور.

لكن العجب أن يعلن الوهابيون بوقاحة أنهم بصدد تدمير غار حراء، الذي تعبّد فيه الرسول.

فأي عقل أو منطق لدى هؤلاء، وأين المسلمون يدافعون عما تبقى من تراثهم؟

* * *

تزوجها بالتقسيط، ولم يوفِ، فحضر الأب لأخذ ابنته!

المهر يجوز تقسيطه، مقدم ومؤخر، وغير ذلك حسب الإتفاق.. والمهر كما هو معروف للزوجة وليس للأب او اي احد من العائلة. وقد تزوج أحد المواطنين فتاة وأنجب منها أربعة أطفال، فجاء الجد لأخذ ابنته لأنه لم يسدد (الأقساط) له وكأن الزوجة وليس المهر سيارة جرى تقسيطها، فاسترجعت الوديعة! اربعة أطفال ضحايا، وبيت يهدم لأن أب الزوجة الذي يأكل مالاً محرماً، يرفض أن تبقى مع أبنائها حتى يتم السداد. والمبلغ مجرد ٤٧ الف ريالاً، فما أرخص الإنسان! في حين أن القضاء الوهابي يغط في سبات عميق.. والدولة تسمع وترى، تاركة الحبل على الغارب لمثل هذه التجاوزات المشينة.

* * *

تسعيرة الحرية

حسب قانون آل سعود، فإن التوقيف لثلاثة أيام فقط، ولكن من يطبق ومن يلتزم من طغاة رجال الأمن وآل سعود؟ عامل باكستاني مستضعف، اوقفته الشرطة ٢٩ شهراً اي نحو ٨٨٠ يوماً بدل الأيام الثلاثة. وليت الإيقاف في أساسه القانوني والشرعي صحيح. لقد كان اعتقاله بغرض الضغط على أخيه المتهم باختلاس ٤٠٠ الف ريال، وهو ادعاء لم يثبت أصلاً، أي أن واقعة الاختلاس من أساسها غير ثابتة. ثم ما دخل الأخ بأخيه حتى يؤخذ رهينة في مملكة الوهابية التي تضطهد الأجانب عرباً ومسلمين وغيرهم؟ ولطالما اعتقل كثيرون وزج بهم في السجن سنوات طويلة جاوزت العشرين عاماً ولم يوجد لهم ملف ولا تهمة وبعضهم قتل بالباطل (انظر نماذج من ذلك في كتاب محنة القضاء السعودي).

في هذه المرة، كان الباكستاني محظوظاً، فقد انكشفت قضيته للرأي العام المحلي، واضطر ديوان المظالم الى المطالبة بتعويضه بنحو ٢٠٠ ريال يومياً عن كل يوم قبع فيه في السجن. ولم يطلب احد التحقيق في الأمر، ولا معاقبة من كان وراء الإعتداء المشين بسجن رجل بعيداً عن وطنه وأهله وعياله الذين ينتظرون منه مالاً يأتيهم يتعيشون منه!

ولو كان المعتقل بريطانياً أو امريكياً او كندياً كما حدث بالفعل، وفي قضايا ثبت فعلاً جرمهم وصدر حكم بحقهم، وبينه الإعدام بتهمة القتل، ومع هذا أطلق سراحهم وعرض آل سعود الملايين من الدولارات عليهم بمجرد ادعاء انهم تعرضوا الى المضايقة او الاعتداء


المفتي: هل الوهابية قابلة للإصلاح؟!

باليد. فاهانة المسلم وخاصة الهندي او الباكستاني او الأفريقي او الأندونيسي رخيصة، كما هو دمه وديته، بعكس أصحاب الدماء الزرقاء الغربية ودماء آل سعود! وقد تساءل أحد الكتاب عن سعر احتجاز السعودي خطأ؟ هل هو ٢٠٠ ريال أم الضعف؟ فالعادة ان لا يكون هناك تعويض بالمرة!

* * *

الشعب المختار

الشعور بالإصطفاء جاء من نجد، حيث تندمج القبيلة بالوهابية فيصبح الفرد إلهاً، والبلاد إنما هي مملكة ملائكة.. هذه هي الدعاية الوهابية والرسمية في الداخل والخارج. لن نتحدث عما يفعل المتطرفون الوهابيون في الخارج من قتل للبشر في الأسواق واماكن العبادة.. بل سنتحدث عن احصائية تقول أن عدد الذين اصيبوا بالأيدز في عام ٢٠٠٥ ممن اكتشفوا او بلغت الاجهزة الصحية اخبارهم يبلغ عددهم ١٢٠١ بينهم (٣١١ مواطنا ومواطنة).. اما الرقم الحقيقي في هذا المجتمع (الإلهي) فلا يعرفه إلا الله.

ومن دلائل الإيمان في هذا المجتمع المخملي، أن احدهم نقل مرض الأيدز الى زوجته فماتت ولازال حيا، كالقط بسبعة ارواح، فما كان منه إلا أن تزوج أكثر من واحدة بعد المتوفاة ونشر الأيدز اليهن ولم يبلغهن بإصابته، وقد رفعت دعوى ضده لتعمده نشر الأيدز وهناك مطالبة بتطبيق حد الحرابة عليه، علما بأن لديه من الزوجة الأولى خمسة اطفال، وقد تأكد ان زوجاته الأخريات اصبن بالأيدز فعلا!

* * *

ماتوا بشرب الكولونيا!

لن نتكلم عن وفيات الأسهم، وضحايا الأسهم. ولكن كما قالت كاتبة سعودية: (ومن العطر ما قتل).

ففي الشهر الماضي مارس، تواترت الأخبار في الصحافة المحلية عن وفاة العشرات بسبب تناول (شرب) الكولونيا (من اجل السكر والعربدة) وكان الضحايا من الطائف والمدينة المنورة والرياض، اعلن ان الوفيات وصلت في فترة الى عشرين حالة، ويبدو أنها زادت بعدئذ. المتوفون تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين عاماً في حين توفي أحدهم وقد تجاوز السبعين عاما!

فيالها من ميتة سوء!

* * *

فصلن من أعمالهن لأنهن نساء!

خمس نساء تخرجن من جامعة الملك سعود (قسم علوم الحيوان) وكانت الفرصة سانحة أمامهن للعمل في (مختبر إيداك) التابع لشركة أرامكو السعودية في محافظة الخرج، على أنهن (محضرات مختبر) وكانت فرصة شديدة الندرة، ما تجعل الفرحة بها مضاعفة، إلا أنه بعد شهر من تاريخ مباشرة عملهن في هذا المختبر، فوجئن جميعا وبشكل تعسفي بقرار فصلهن من غير أسباب منطقية، بعد سعي حثيث من متطرفي الوهابية ممن منحوا أنفسهم حق الوصاية على الناس وعلى الشركات والمؤسسات الحكومية، وكان هؤلاء المتطرفون يعملون في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجدوا ان عمل المرأة حرام وخطر، فلا بد من العمل على عزلهن، لكن لا سلطة للهيئة على ارامكو، ولا سبب منطقي موجود، ولا أتت النسوة بمخالفات شرعية، فما كان منهم إلا استصدار قرار فصلهن من محافظ الخرج، بعد أن حاول الرئيس المباشر لهن في العمل الدفاع عنهن. ولكن ما دخل المحافظ في هكذا قضية؟ وأين وزارة العمل؟ وكيف تقبل أرامكو ان تستلم أمراً من محافظ في شأن بدون الرجوع الى القانون والقضاء.

انها الوهابية التي تخنق المجتمع وكفى!

* * *

المتعة في ضرب العمال الأجانب الضعفاء!

كتب عبدالله المطيري مقالاً تحت عنوان: لماذا هذا الكره في أعماقنا؟ يقول فيه أنه تتوفر في "البقالة" المجاورة لمنزله خدمة توصيل الطلبات بالمجان، يقوم بتلك المهمة شاب هندي تظهر عليه ملامح الطيبة والإخلاص. ويضيف بأن الهندي (المسلم) سأله: لماذا يرجمنا أبناؤكم الصغار بالحجارة كلما يروننا. ولماذا يسبوننا كل هذا السباب دون أن نفعل لهم شيئاً؟. وطلب منه ان يكتب عن هذا الموضوع. ورغم معرفته بمثل هذه الأحداث التي تقع بشكل يومي، سأل الكاتب بعض الشباب والصبية عن السبب، فكانت الإجابات كالتالي: أحدهم قال إن ظهور العامل في الطريق يمثل فرصة لا تفوت بالنسبة له من أجل ضربه ومن ثم الهرب منه. البعض تحدث عن شباب يسيرون في سيارتهم بحثا عن أحد العمال ليضربوه بالعصا التي يحملونها أو يرموه بالبيض مستمتعين بمشاهدته وصدمته. وعن تفسير الفعل قال بعضهم ان ضرب هؤلاء يتم لأنهم ضعاف ونعلم أن أيديهم لن تطالنا مهما عملنا. البعض منهم قال إنهم يعملون ذلك من أجل المتعة لا أكثر، وآخرين قالوا إن من الهوايات عندهم مطاردة القطط وقتلها وسلخها وتعليقها.

يضيف الكاتب قائلاً: هل تنحصر هذه التصرفات في الأطفال؟ كيف يتعامل الكبار منا مع العمالة الأجنبية؟ على المستوى الإنساني هل يحظون منا باحترام وتقدير؟ يخطر ببالي مباشرة مفردات السخرية العديدة التي نطلقها عليهم باللغة العامية وقد تكون، للأسف، أثناء المصافحة. أيضا هل نقيم مع هؤلاء علاقات إنسانية قائمة على المساواة والنديّة، علاقة إنسان بإنسان؟ على المستوى العملي هل نلتزم كأرباب عمل بالمواثيق والعقود التي نبرمها مع العمالة لدينا؟ هل توجد عاملة منزل (شغالة) واحدة تعمل ساعات العمل المحددة وتستمتع بيوم الإجازة الذي ينص عليه العقد؟ لا أنسى هنا منظر عامل النظافة في مدرسة سابقة عملت بها ومرتباته قد تأخرت ستة أشهر. ولا ذلك العامل الذي كان يسير منكسرا بجانب أحدنا يطلب منه أن يدفع ما عليه من ديون بينما يقذفه صاحبنا بكم هائل من السباب القاسي. وبالتالي تبرز أعمال أطفالنا كشكل مباشر وطفولي لأعمالنا نحن الكبار وبالتالي فإن سؤال جاري الهندي يمكن أن يوسع حتى يتوجه لمجتمع بأكمله وليس لفئة عمرية محددة فقط. لا شك أن خلف كل هذه المظاهر جملة من المعتقدات والأفكار الراسخة تجاه الذات والآخر تنطلق من نظرة تقديسية للذات وتحقيرية للآخر تزرع أقسى أفكار الإنسان "فكرة الكره". يختفي الحب هنا مباشرة ويهرب بعيدا. حب الوجود والطبيعة والإنسان.

السؤال الاخير: هل يجرؤ وهابي او اي سعودي أن يمدّ يده على غربي أبيض وإن كان كافرا؟!


اللحيدان: متى تصلح قضاتك؟

مرة أخرى مع القنبلة النووية السعودية ولكن بشكل مختلف!

نوويّون سعوديون

كنا قد نشرنا في أعداد سابقة أن بعض الدول الغربية تحتمل أن السعودية لديها مشروع نووي سرّي اعتماداً على حقيقة العلاقات الطيبة بين السعودية والباكستان، وتمويل الأولى للثانية، وكذلك اعتماداً على حقيقة أن عبدالقدير خان أبو القنبلة النووية الباكستانية كان يحاول بيع أسرارها الى ليبيا وإيران وغيرها، وهو أمرٌ اعترفت به الحكومة الباكستانية.

بعد نشرنا ذلك المقال (راجع العدد ـ ٣٧) جاء مسؤول استخباراتي ألماني في شهر مارس الماضي ليقول أن السعودية لديها نواة مشروع، ربما لم تواصل العمل به، وقد ردّ السعوديون ـ المسؤولون ـ بالنفي والإستنكار لمثل تلك الأخبار التي غرضها التحريض على نظام الحكم في المملكة.

لكن ما ظهر حينها من مشاعر لدى بعض أطياف المجتمع السعودي (السلفيين بالخصوص) كان طابعها تصديق الخبر، وتكذيب الحكومة السعودية، فامتلاك القوة ـ ولو ادّعاءً ـ يبدو أنه حسن لديهم، في حين كانت الحكومة السعودية تخشى من تداعيات ذلك الإدّعاء على علاقاتها مع الغرب، وبالتالي على أمنها، واستقرار نظام الحكم السعودي نفسه.

كان بعض السلفيين يؤكد صحة وجود برنامج نووي سعودي، اعتماداً على العقل! فلا يمكن ـ من وجهة نظرهم ـ أن (دولة التوحيد) ترى الدولة الرافضية الصفوية وترى اسرائيل وهي تمتلك او تسعى لامتلاك السلاح النووي، في حين يقف حماة التوحيد مكتوفي الأيدي! وراح هؤلاء يخترعون القصص بأن هناك علماء سعوديين عباقرة هم من يتولى الأمر في منشأة جنوب الرياض، لم تعلم بهم حتى السي آي أيه، واضافوا بأن الحكومة السعودية ترفض التفتيش الأميركي لقواعدها! متناسين أن هناك ما يزيد على عشرة آلاف خبير عسكري بريطاني وأميركي يعملون في كل قطاعات الحرس والجيش! وان للسي آي أيه وكذا الإف بي آي مكاتب في مدن كبرى في السعودية منذ أواخر السبعينيات الميلادية، مع أن الإف بي آي اعلنوا افتتاح مكاتبهم في السعودية قبل ثلاثة أعوام فحسب.

ما أن هدأ الحلم اللذيذ الذي عاشه بعض السلفيين حتى جاء خبر إعلان الرئيس الإيراني نجاد عن نجاح إيران في تخصيب اليورانيوم، فتداعت الصور المأساوية لديهم، وهاجت العواطف السلبية التلقائية، فكانوا الأكثر نواحاً وتألّماً، واعتبروه بما يشبه (الهزيمة العقدية) وليس العلمية أو السياسية، اذا افترضنا أن ايران والسعودية دولتان متنافستان، مع فارق القوة والقدرة بالطبع.

كان ألم سلفيي نجد (عقدي)، في حين أن الألم السياسي مشروع بلحاظ الأسباب السياسية والمصالح المتخالفة مع الحكم الإيراني. كانت الصدمة كبيرة بالنسبة لأناس يعتقدون أنهم يعيشون صراعاً تاريخياً يمتد الى ما قبل تاريخ الإسلام، ويستمر الى اليوم.. صراع أيديولوجي ـ وهو أسمى الصراعات وأعلاها!

الدهشة عبر عنها بطرق مختلفة. من يقرأ تعليقاتهم يذهله حجم الدموع السواجم تسبح على شاشات الإنترنت الخاصة بهم، وسط حمّى المطالبات للحكومة السعودية بأن تبدأ علناً وفوراً بمشروعها النووي (لمواجهة الخطر الرافضي)!

أحدهم تساءل: كيف يحصل (الكفار الروافض) على التقنية النووية، فيما (دولة الإسلام ـ دولتهم النجدية المسعودة) لم تسعَ اليه حتى؟!

آخر قال: أنه سيتشيّع إذا دخلت إيران في حرب مع أميركا، وهي حرب بنظره لن تحدث، لأن أميركا وإيران عملا معاً وسوياً لكي تحصل الأولى على مقدرة نووية. فردّ عليه (شيعي متحمّس لإيران) بأنه (سيتوهّب ـ سيصبح وهّابيّاً) في حال تخاصمت السعودية مع أميركا، مشيراً الى أن السعودية هي الحليف والعميل لأميركا!

ثالث قال بأن أميركا خانت دول الخليج لأنها لم تضرب إيران، وبالتالي لا يوجد حلّ لحماية عروش حكامها سوى (التعاون مع المجاهدين) الذين شيّبوا رؤوس الروافض في العراق! فرد عليه زميل له: (بصراحة تفكير راقي. اشكرك)!

ورابع قال: بعد الإعلان الإيراني (الصفوي) عن قدرته على تخصيب اليورانيوم... فقد بات على دولتنا السعودية المباركة المسارعة بإمتلاك هذا السلاح دون إبطاء، لأن هذين البلدين (إسرائيل – إيران) ومن ورائهما كافة الدول الداعمة لهما، عدو مشترك واحد.

هنا ردَ آخر بسخرية: (سووا صرف صحي أولاً) أي أقيموا شبكة مجاري قبل ان تفكروا في النووي! ولكن هذا لم يعجب المتحمس: (البنية التحتية لوحدها لن تحمي الوطن من أعدائه، بل يجب على المسؤول أن يبني قوة عسكرية تكون مهابة الجانب).. وعضده في ذلك آخر قائلاً: (امتلاك السعودية للأسلحة النووية خيار استراتيجي لا بد منه، ويجب أن يكون معلناً، فالسعودية هدف لدول عديدة في المنطقة، فإسرائيل من جهة، وتركيا من جهة، وايران من جهة، والهند كذلك، ومع الأسف الشديد إذا لم تكن السعودية امتلكت السلاح النووي أو سعت الى ذلك، فهي تتحمل نتيجة ما سوف تؤول اليه الأمور اذا قدر الله، فليس من العقل أن تكون دولة بحجم السعودية من الثروة والمساحة والمكانة العالمية، ولا يكون لديها هذا السلاح، لذا فعلى الحكومة السعودية أن تتدارك الموقف وتسعى لامتلاك السلاح النووي والإعلان عنه أيضا، حتى يكون رادعاً لكل طامع، فنحن بين كماشتين، بين الشيعة واليهود).

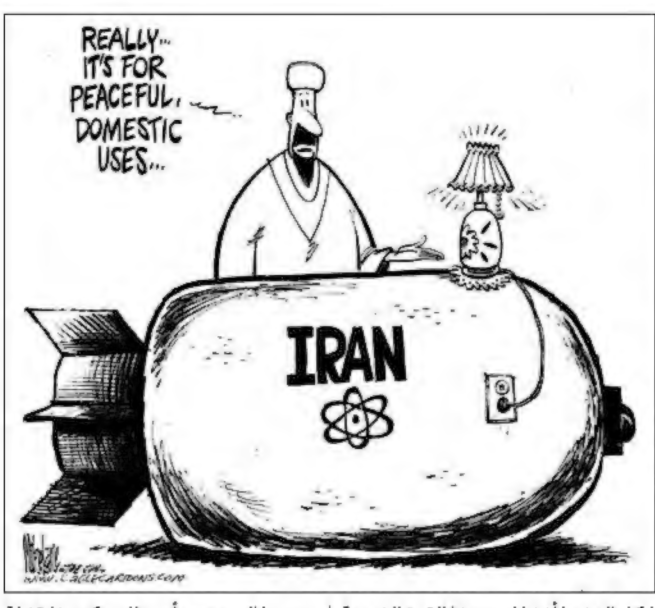
تآمر أميركي إيراني

لقد استحوذ موضوع التآمر الإيراني ـ الأميركي ضد السعودية! مساحة غير قليلة من تعليقات السلفيين، وهذا التحليل قائم على أساس عقدي كالعادة، فإيران (الشيعية) لا يمكن أن تكون تعادي أميركا

وإسرائيل، وما نسمع عنه من صدام - برأيهم - مجرد ضحك على الذقون. فالاصل العقدي يقول إن الشيعة عملاء للصليبيين والصهاينة. ويسري هذا التحليل على الوضع في العراق، فحسب الرؤية السلفية هناك تحالف أميركي ايراني ضد المجاهدين في العراق، ووفق هذا التحليل، يقول أحدهم أنه سبق التهديد والوعيد الغربي لإيران وكذلك في مجلس الأمن، سبقه أن أميركا (غضّت أنظارها عما يحصل في الخفاء.. إلى أن تمخضَ الأمر بالوصول إلى إنتاج اليورانيوم وتخصيبه. روعة سياسية أليس كذلك.. وقذارة اجلكم الله في نفس الوقت). وهنا صدقه آخر وقال: (صدقت والله، وهذا احساسي القديم هم العدو).. وانبرى آخر منفعلاً من النووي الإيراني ليقول: (قاتل الله الرافضة الأنجاس ونسأل الله أن يأتي اليوم الذي نرى فيه ذلهم وسحقهم بسبب الطغيان الذي يفعلونه في الأمة الإسلامية). وقال ثالث يؤمن بنظرية التحالف الأميركي الإيراني: (إيران تقود المنطقة نحو أمريكا والتشيّع.. أكيد المسألة فيها توافق للمصالح بين الصهاينة والرافضة). لكن أحد المشاركين أراد أن يكون منصفاً على الطريقة السلفية وسأل اصحابه: (ماذا لو ضربت أمريكا المفاعلات النووية الإيرانية، هل سيكون لما قيل - أعلاه - اعتبار، مع أني أجزم بأنها لن تضرب.. لكن حتى يكون الانصاف منهجنا)!

المرارة في الحلق

(أيها السعوديون، هل شعرتم مثلي بالمرارة والغبن وأنا أسمع أحمد نجاد يعلن أمام العالم أن الأمة الإيرانية أصبحت القوة النووية الثامنة في العالم)؟ ويضيف موضحاً سبب تلك المرارة: (شاهدت الفخر والاعتزاز في عيني كل ايراني، شاهدت نجاد وهو يرفع رأسه وهامته عاليا. في المقابل انتابني كسعودي شعور من المرارة والحرقة والخيبة، واحسست بغصة تملأ جوانحي وهي تتساءل: ما الذي ينقصنا كسعوديين كي نصبح قوة نووية ونفاخر بذلك أمام العالم؟ لماذا.. لماذا.. ومليون لماذا نأتي متأخرين دوما في كل شئ؟ هنا كمواطن سعودي أسأل الملك عبدالله: لماذا نرهن أمننا ومقدساتنا ووجودنا بيد الآخرين؟ لا نريد ازدهارا اقتصاديا او انجازا رياضيا، نريد فقط أن نشعر بما يشعر به كل مواطن إيراني في هذه اللحظة! نريد ان نرفع رؤوسنا امام العالم ونسمعك يا خادم الحرمين تعلن لكل الدنيا أننا اصبحنا القوة النووية التاسعة في العالم).



الردود كانت متفاوتة، بعضها أخذ جانب السخرية، وبعضها أخذ يستشهد بالغيب، وبعضها ذهب بها طويلة عريضة.. من تلك الردود:

- أمريكا لن تسمح لدولة مسلمة على مذهب أهل السنة والجماعة بامتلاك سلاح نووي (يقصد السعودية ويستثني الباكستان فهي سنية ليست على مذهب السلف).

- مو ناقصنا شيء! رياضياً (نحن) أبطال آسيا أربع مرات متتالية! وأبطال كأس العالم للناشئين عام ١٩٨٩ باسكتلندا! وتأهل منتخبنا لكأس العالم للكبار أربع مرات متتالية! إعلاميا عندنا قنوات فضائية كثيرة توظف اللبنانيين، كل أبوهم! الخ..

أعجبتني فكرة التبرع بالاسهم من اجل ان نصبح دولة نووية، وهاأنذا أتبرع بـ ٣٥٠ سهما في الكهرباء!

- يا إخوان! السلاح النووي ليس كل شيء. لكم أن تسألوا عن قوة الصواريخ الاستراتيجية شبه السرية والموجودة عندنا في السعودية والصين فقط، والله شيء يرفع الرأس. (يقصد صواريخ رياح الشرق أو 3-DF متوسطة المدى التي اشترتها السعودية في منتصف الثمانينيات الميلادية الأخيرة - اسألوا عنها غوغل!).

– ما هذا السبات الذي تعيشه دول مثل السعودية إزاء كل هذه الإنجازات الحضارية لإيران؟

- من يطالب معي بأن تملك حكومتنا قنبلة نووية، ووالله أن الرافضة ليسوا بأحق منا بذلك، فنحن من يحمل راية التوحيد ونحن أحق بها للحفاظ على مصالحنا وامننا منهم.

- نعم والله يجب ان نمتلك السلاح النووي، العالم لا يحترم الا القوي.

- وبعد امتلاك ايران للسلاح النووي اصبحنا تحت سيطرة رعبهم النووي ولن نتخلص منه الا بوجود سلاح مماثل. وعدو ايران الحقيقي هي دولة التوحيد السعودية حماها الله وجنبها الشرور.

ولي الأمر يصعقهم بـ (حي على الجهاد)!

لقد كانت أطرف التعليقات السلفية تتعلّق بسلاح حي على الجهاد:

- المملكة العربية السعودية تمتلك سلاحا أقوى بكثير من القنبلة النووية، ولا تستطيع أعتى قوة في العالم من مواجهته وقت الجد، والغرب وعلى رأسهم رأس الأفعى امريكا تعلم ذلك. (السلاح هو أن) المملكة تحتضن أهم وأقدس بقعتين في العالم، ويعلم الغرب والجهله منهم، إنه متى ما حاولوا المساس بهذين المكانين الشريفين، فكلمة من ولي الأمر (حي على الجهاد) سوف تقيم الدنيا بأكملها ولا تقعدها وتكون حرب عالمية يهب فيها المسلم من كل مكان لنصرة دينه. فاطمئن وأغمض عينيك، وكل ما يجب علينا هو أن نلتف حول ولاة الأمر ونكون يدا

واحدة معهم.
ـ كلمة (حي على الجهاد) التي سيدعو لها ولي الامر لا تنفع بدون إعداد العدة. البلد والحكومة تمتلك من المؤهلات المالية والعقلية والادارية ما يؤهلها أن تمتلك هذا السلاح النووي.
ـ لا تخصبوا اليورانيوم وإن كنتم عازمين وملزمين فتكفون خلوه للاغراض السلمية. صح النوم يا إخوان. أنا أعارض وبشدة امتلاكنا للسلاح النووي.
ـ لانحتاج لقنبلة نووية أبداً.. لأن ما نملكه كتاب الله وسنة رسوله أقوى بكثير من هذه الأمور الدنيوية. (اذا طبقنا ما فيهما) ستخضع لنا الدول وتذل وتقدم لنا إنتاجها على طبق من ذهب، وبأقل من سعر التكلفة، وهذا مشاهد سابقاً في كثير من أمور الحياة.
– قولك بأن كلمة (حي على الجهاد) التي سيدعو لها ولي الامر لا تنفع بدون إعداد العدة.. لا أوافقك الرأي بشأنه، والسبب ان كلمة الجهاد تحتوي قوة روحانية جسديا أوجدها الله جل شأنه، فمتى ما دعا إليها ولي الأمر يصاب العدو بالرعب قبل العدة بأشهر، أنسيت قول المصطفى: (نصرت بالرعب مسيرة شهر).
– خلهم قبل (هذا) يصنعون مسدس!
ـ بالإيمان الكامل والصحيح يتحول كل ما في يدي الأنسان إلى سلاح، ولك في أفغانستان عبرة، كان الأفغاني إذا حمل العصا ولّى الروسي الهرب وقضى نحبه!
– بينما نحن في نوم عميق، إيران تعلن تطوير أسرع صاروخ تحت الماء في العالم.

إختلاط الكره بالإعجاب بحب الإنتقام

من البديهي أن يختزن السلفي الشيء ونقيضه. فبمقدار كره المتطرف ـ أي متطرّف ـ لعدوّه، أيّاً كان ذلك العدو، فإنه في نفس الوقت يشعر في داخله بالإحترام والإكبار لمنجز عدوه (المادي) على الأقل، حتى وإن ادعى بأنه لا يعترف بقيمة ذلك المنجز. والأعداء ـ أو المتخاصمون ـ يتعلمون من بعضهم البعض، ويطورون أداءهم واستراتيجياتهم بحسب ما يرون في الآخر، بل أن بعضهم قد يغير قناعاته الفقهية ليس بغرض التماهي مع الآخر، وهو الحريص على هويته الذاتية، ولكن لأجل استقطاب المزيد من الدعم والتعاطف والمنافع (المعنوية او المادية).

في هذا الموضوع الإيراني النووي، يمكن ملاحظة ما أشرنا أليه من اختلاط الكره بالإعجاب، وسنأتي الى مسألة الإنتقام لاحقاً. من الأمثلة ما كتبه أحدهم: (إيران المجوسية فهمت مبدأ أن تعيش بكرامة وعز بعيدا عن الإعلام المزيف والكرباج الداخلي المهيب، فدخلت في حرب ضروس مع النفس أولا ومع العالم ثانياً، وهي تعلم تماما أن وقوفها شامخة قد يكلفها الكثير، ولكن هذا ثمن المبدأ الذي لا ينحني في منطقة ألفت الإنحناء والتبعية!). وفي ذات المسار كتب آخر: (عاجل: مبروك. أعلنت جمهورية ايران الشقيقة الرافضية قبل قليل عن نجاحها في عملية تخصيب اليورانيوم، وبوش نايم في العسل أو منوّم فيه، يقول: لازم منع ايران من امتلاك اسلحه نووية بطرق الدبلوماسيه. هيّن هيّن يا الضبّان)!. لكن كلمة مبروك (قاسية على المعدة) فرد أحدهم: (باعوها العجم.. والله مو خوش بشارة.. الله يكفينا شرهم). ولما قال أحدهم أن الخبر قديم، ردّ (الآتي بالتبريك): (وين قديم ياخوي؟ الخبر الآن عاجل على قناتي الجزيرة والعربية. إركد ياخوي ترانا مو ناقصينك، مقابل التلفزيون وبيموت من القهر)!

أما الإنتقام، فيحتاج الى تنفيس، فحوصلة التطرّف لا تتحمل هكذا أخبار، وهي حوصلة سريعة الإمتلاء بالأخبار، لأن مدى اهتمام السلفي المتطرّف واسع يتعدّى حدود البلاد الى كل ما يجري في العالم، فهو إذ يعيش صراعاً كونيا، يرى الصورة واضحة ـ بل شديدة الوضوح ـ ويستطيع بسهولة أن يربط بين اسرائيل وحزب الله، وبين أمريكا وايران، وبين الشيعة والصوفية، وبين الصليبية والشيعة، وبين أي حدث يقع في المعمورة مع أحد هذه الأطراف المذكورة. لهذا فالمتطرّف ـ سلفياً أو غيره ـ بحاجة الى تنفيس دائم. وقد كانت الشبكة العنكبوتية واحدة من أهم وسائل التنفيس (حتى صار مصيدة لمتطرفيهم ـ الساحات مثلاً)، حيث يترك للنفس أن تسترسل وأن تحلم وأن تحارب وأن تذبح وأن تشتم وتتوعد وغير ذلك. ويمكن للشبكة أن تحوي وسيلة اخرى للتنفيس، وهي النكتة، مع أن السلفيين نادراً ما يفعلون، وهناك السخرية من الذات أو من (الحكومة) فيتم الإنتقام منها عبر تنقيصها لجبنها وفسادها. وهذا ما حدث في هذا الموضوع وغيره.

ففي الوقت الذي طالب السلفيون بـ (قنبلة



نووية سعودية!) راحوا يتساءلون: (أين دور صناعاتنا الحربية؟!).. تماماً مثلما فعلوا حين انتصر الخميني: (وأين علماؤنا؟!) فكان أن ظهر لنا ولهم محنة المهدي وجهيمان في الحرم!

(لماذا تنام ـ الحكومة ـ في سبات عميق، في الوقت الذي تصنع فيه إيران أنواع الصواريخ وحتى الطائرات الحربية؟!) تساءل أحدهم، وأضاف: (هذه دعوة ومناشدة للمسؤولين لدينا أن يهتموا بالصناعات الحربية الوطنية، فهي والله مهمة و خطيرة جداً). وبدأت التعليقات فكان منها:
ـ لا تخاف مادام عيال أخو نورة (أي آل سعود) موجودين. هذا ولدهم الخبل، سرق فلوس حرب الخليج وراح يشتري فيها خيل استعداداً للحرب.
ـ هل تعلم بأن السعودية تعد ثاني اكبر دول العالم في التسلح بعد الصين! هنيّة على قلبك يا وزير الدفاع أنت وإبنك، مليارات مليارات الدولارات تذهب للتسليح بإسمك لا نعلم عنها شيئاً. قاتل الله الجشع وحب الدنيا!
ـ نحن السعوديين مشغولون بقضايا أهم! مشغولون بقيادة المرأة للسيارة، وإعطاء المرأة حقوقها، وكيل المديح للحكام!
ـ لا تخافون الأمير سلطان، الايام القادمة يبي يوقع عقد صواريخ (جو عرض طول!) جديد من نوعه، يفر الكرة الأرضية ثلاث مرات ثم يرجع لموقعه بكل أمان، ثم يستاذن أنه يضرب العدو. لا تخافون حنّا والتكنلوجيا شيء واحد لا يمكن يسبقنا أحد!
هنا حاول أحد المخبرين أن يغير الموضوع فقال: (السعودية ليست نائمة كما ذكر البعض، وليست مستيقظة أيضا، لكنها تحاول أن تعمل بصمت، واستراتيجيتها العسكرية واضحة جدا، ولن تتهاون البتة في الدفاع عن مصالحها الحيوية والأستراتيجية في المنطقة الشرقية)!

الأمن المفقود في مملكة آل سعود

لطالما ردّد زبانية آل سعود، والمكفراتية المؤيدون لهم: الحمد لله على (نعمة الأمن والأمان) فيما تنزلق البلاد الى عهد لم تشهده في تاريخها حتى قبل وصول آل سعود للسلطة.

هناك أحياء في جدة والرياض لا تستطيع السلطات الأمنية دخولها إلا بفرق مسلحة بأسلحة ثقيلة، وفيها تباع المخدرات والخمور علناً، والدعارة علناً! وفي مثل تلك الأحياء، لا أحد يدفع فواتير كهرباء أو ماء أو تيلفون ـ إن وجد!

البيوت في السعودية لم تعد آمنة، بل حتى المساجد لم تعد آمنة، فالسرّاق ومحترفو اللصوصية يسرقون كل شيء من الأجهزة الكهربائية وحتى أجهزة التكييف، مروراً بما يوجد من نقود وحلي وألعاب الكترونية.

السيارة التي تقف في الشارع يمكن أن تختطف في أقل من دقيقة!

الإغتصاب مستمر وفي حالة تصاعد وقد شمل بعض المواطنات وهن في منازلهن!

عصابات الإجرام تكاثرت، والدولة غير قادرة على ضبط الوضع منذ نحو عقد. ولكنه الصمت. ففضيلة ونعمة (الأمن والأمان) يجب أن تبقى شعاراً مرفوعاً وإن كان خاوياً.

بالطبع فإن للظاهرة أسباباً اقتصادية واجتماعية وسياسية، ولكن هناك حالة نفسية لدى الأجيال الجديدة الضائعة تشير الى أن هذه الأجيال لا تلق بالاً للحكومة ولا لأجهزتها المشغولة بملاحقة (السياسيين المصلحين).. ويلاحظ أن (فلسفة الضرب بيد من حديد) ليست إلا ضرباً كالزبيب!

حتى الإرهابيون التكفيريون أفرج عنهم نايف، لأنهم في أكثرهم من المدللة نجد، وقال نايف أنه تم الإفراج عن نحو ثلاثة آلاف منهم. وأما في المواضيع الأدنى الجرائم (غير السياسية) فمع تصاعدها الظاهري لا توجد أرقام حكومية مؤتمنة كالعادة، فلا توجد إحصائيات غير تلك التي تنشر في الكتاب الإحصائي السنوي السعودي وهي بكل المعايير (احصاءات سياسية). فجرائم القتل والإغتصاب والسرقات المسلحة وغيرها، صارت من القضايا الإعتيادية التي تنشرها الصحافة المحلية.

واليكم بعضاً مما نشرته الصحف في الشهر الماضي فحسب:

★ شاب (٢١ عاماً) من الرياض اقتحم منزل سيدة سعودية أثناء غياب زوجها عن المنزل وهددها بالسلاح واغتصبها ثم سرق هاتفها الجوال وبعض الأجهزة الكهربائية في المنزل، وما كان موجوداً من مال وغيره وفرّ هارباً!

★ تم على نحو واسع تداول تسجيل عبر الهاتف الجوال لسلفي من الهيئة وهو يتعاطى الفاحشة مع إحدى النساء، وقد حاول السلفيون (المتطهّرون!) تبرير هذا المسلك، او نفيه بالمرّة. المهم: انظر للاستخدام المتقن للتكنولوجيا! في إشاعة الفاحشة!

★ في المدينة المنورة وحدها، تمّ ضبط نحو ٤٠ ألف مادة خليعة خلال الأشهر الثمانية الماضية ـ حسب إحدى الصحف.

★ تم ضبط مصنع للخمور في الملز بالرياض، تقوم عليها سيدتان ورجل، إحدى السيدتين مصابة بالأيدز!

★ إيقاف شخص في خميس مشيط يروج للخمور والدعارة.

★ طفلة من المجمعة في القصيم، لا يزيد عمرها عن ثلاث سنوات، يرجح أنها اختطفت، ووالدها يعرض مكافأة مجزية.

★ طفلة من مكة (٩ سنوات)، ماتت بسبب تعذيب زوجة أبيها، فقد كسرت أضلعها وسكبت مادة الكولوركس على جسمها.

★ شاب سكير اختطف طفلة عمرها أربع سنوات واغتصبها، فحكم عليه القاضي بأربع سنوات سجن، و٤٠٠ جلدة فقط. قال قائل: إن الحكم يمثل دعوة لإغتصاب النساء في السعودية!

★ صحيفة سعودية تنشر موضوعاً مثيراً: (نساء يغتصبن الرجال).

★ صدر حكم على ١١ شاباً تحرشوا بفتاتين في طريق نفق النهضة بحي الملز بالرياض، وصوروا الحادثة ونشروها عبر كاميرا الجوال. الأحكام تصل الى ١٢ سنة و ٤٠٠ جلدة.

★ خمسة شبان شكلوا عصابة سرقة واستخدموا السلاح روعوا الكثير من المواطنين في منفوحة.

★ أربعة شبان في تبوك يختطفون شاباً ويغتصبونه، ويقومون بسرقات أخرى.

★ روّع مجرم أهالي المدينة باقتحامه للمنازل وسرقتها والإعتداء على من فيها، ولم يعتقل حتى الآن.

★ انتشار مشهد جنسي لسعودي مع سعودية عبر الجوال مدته دقيقة واحدة، هو على الأرجح عمل ترويجي للدعارة. ويحتمل أن تكون الفتاة مختطفة؛ وقد حدثت وقائع اغتصاب مشابهة تمّ نشرها في الأشهر الماضية.

هذه بعض المقتطفات حول الموضوع الأمني، مما تنشره الصحافة بكثافة هذه الأيام، الأمر الذي افزع المواطنين الذين ـ قبل النشر ـ كانوا يعتقدون أنهم يعيشون في واحة من الأمن، كما تدعي السلطات السعودية.

تحقيق الأمن اعتبره آل سعود واحداً من المنجزات التي تعزز شرعية حكمهم. ولكن ما عسى أن يقولوا الآن؟!

مسيرة الإصلاح في السعودية

من العريضة الى الصمت المطبق

مضاوي الرشيد

عندما تكون السياسة قائمة على علاقات مشخصنة بين الحاكم والمحكوم في دولة تنعدم فيها المؤسسات التي تمكن الشرائح الشعبية المختلفة من ممارسة المشاركة في صنع القرار تصبح العريضة المطالبة بالاصلاح والتغيير الوسيلة الوحيدة لاستجداء بعض المطالب من القيادة. في بلد كالسعودية أخذت العرائض المرسلة الى ولي الامر أبعاداً مهمة خاصة بعد احداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) عندما قامت مجموعات شعبية نخبوية في مجملها بتقديم خطابات ممكن تصنيفها على انها تقع في ثلاث خانات أو مجموعات.

المجموعة الاولى من العرائض وان لم تكن موجهة الى ولي الامر الا انها كرّست تضامن الموقعين على هذه العرائض مع قضايا العرب وخاصة في فلسطين والعراق.

المجموعة الثانية من العرائض صدرت من الاقليات كالشيعة والاسماعيلية ومن النساء وكلهم طالبوا بالمشاركة في صنع القرار أو بنصيبهم من الكعكة خاصة بعد عقود طويلة من التهميش وحتى العدوانية من قبل أطياف مختلفة من السلطة والمجتمع.

ما يهمنا هنا هو المجموعة الثالثة من العرائض والتي طالبت بالاصلاح السياسي الشامل المتمثل بالانتخاب الحر وفصل السلطات وإستقلالية القضاء والمشاركة السياسية والعدالة الاجتماعية وتقوية مؤسسات المجتمع المدني المستقلة. عشرات من النخب المختلفة الاتجاه والتفكير إجتمعت لتطرح موضوع الملكية الدستورية كبديل للملكية المطلقة الحالية

ورغم أن الاصلاحيين الدستوريين كما عرفوا فيما بعد لم يكن تصورهم للاصلاح المرجو مستمداً من التجربة الاوروبية بل من تجارب دول الجوار والتي بدأت تسير في هذا الاتجاه الا أن مشروعهم لقي رداً بارداً ثم وصل الى مرحلة السجن عندما زج بمجموعة من محركي فكرة الملكية الدستورية ومنظريها في السجن لعدة أشهر صدرت بعدها الاحكام التعسفية بحقهم.

ولم يخرج هؤلاء من السجن الا الصيف الماضي وبعد تتويج عبد الله ملكاً على البلاد. ولكن رغم أن هؤلاء الاصلاحيين هم اليوم خارج السجن الا أنهم وطيفاً كبيراً من زملائهم لا يزالون ممنوعين من السفر بعد مصادرة جوازاتهم. وهم أيضا مغيّبون عن الاعلام العالمي والمحلي. فلا حوارات على الفضائيات ولا مقالات تنشر حتى هذه اللحظة.

يبدو أن الاصلاحيين قد وصلوا بعد العريضة الى الصمت المطبق. من الصعوبة في بلد يقدّس السريّة أن تتضح الصورة بالنسبة لما حصل عندما أطلق سراح الاصلاحيين.. ولا بد لنا أن نستنتج أن حالة الصمت هذه لا تنذر بخير.

أخطأ النظام السعودي عندما سجن هؤلاء الاصلاحيين لانهم كانوا بالفعل من المنظرين لقيام الدولة السعودية الرابعة. الكل يعلم أن المرويّات التاريخية السعودية تقسّم التاريخ الحديث الى ثلاث دول. الدولة السعودية الاولي والتي انتهت عام ١٨١٨ بعد حملة ابراهيم باشا على نجد بإيعاز من السلطان العثماني. والدولة السعودية الثانية الهشة والتي تلتها ولكنها هي أيضا انتهت عام ١٨٩١ نتيجة الصراع الداخلي بين الاخوان السعوديين



وتحت ضغط قوى محلية إستطاعت أن تنافس السلطة السعودية. بعد هذا جاء دور الدولة السعودية الثالثة والتي دشنت عام ١٩٣٢. هذه التجارب السابقة إنعدمت فيها المشاركة الشعبية ما عدا الحلف المزعوم بين الامراء والعلماء والذي بدأ يظهر وكأنه حاليا يمر في مرحلة تصدع واضحة.

المطّلع على عرائض الاصلاح منذ عام ٢٠٠٣ يستنتج أن المصلحين حاولوا جاهدين التنظير لكيان جديد رابع يحل تدريجيا محل التركيبة السابقة والتي تبدو اليوم اكثر من أي وقت مضى وكأنها حالة شاذة ليس في العالم بل في محيطها الاقليمي الخليجي. مشروع الاصلاح الذي طرح من خلال العرائض يوعد بنقلة تنهي حالة التذبذب القائمة الآن. النظام السعودي الحالي يتّصف بصفات خاصة به فلا هو دولة اسلامية ولا هو دولة علمانية بل هو خلطة اشبه ما تكون بمنزلة بين المنزلتين. هو يتسم بالانتقائية عند تطبيق بعض الاحكام الشرعية فرغم انه

يحتفظ بمظاهر تطبيق الشريعة والتي حصرت بقطع الايادي والرؤوس والرجم والجلد الا انه يلجأ الى الاحكام الوضعية في كثير من المجالات كالصحافة والتجارة وغيره.

وكثير من الاحيان نجد ان السلطة السياسية تتجاوز الاحكام الصادرة من القضاء فتعفي عن من حكم عليه بالسجن مثلاً او أنها تزج بأحدهم في السجن دون حكم قضائي. الانتقائية والتعسفية إنتقصتا من قوة القضاء وهيبته وجعلتاه يفقد الاستقلالية والتي طالب بها الاصلاحيون، كذلك هذا النظام ليس بالتقليدي وليس بالحديث. وليس هو بالنظام الديمقراطي او النظام التوليتاري. بل انه حالة خاصة من تطور بطيء وغير منسق او متكامل. لا تزال السعودية قائمة على منطق شخصنة السياسة في مرحلة غياب المؤسسات المستقلة.

وبينما تبقى السياسة وممارستها عملا شخصيا تحتكره مجموعة ضيقة لا تمثل الا ذاتها نجد المجتمع السعودي قد وصل الى مرحلة استقطاب وتشظي فكري واجتماعي وايديولوجي. هذا التشظي ليس من باب التعددية بل هو نتيجة مباشرة للدور الذي تلعبه السلطة في التأثير على المجتمع من باب الوصول الى الولاء المطلوب. التشظي يظهر بوضوح على عدة محاور.

من هذه المحاور محور تفتق الهويات الضيقة من قبلية ومناطقية وطائفية على حساب هوية وطنية واضحة المعالم اهم ميزاتها الشعور بالعدالة من قبل أصحاب هذه الهويات. هناك مجموعات منشغلة ببلورة هوياتها المحلية علها بذلك تستطيع أن تنال بعض الحقوق من منطلق كونها إما أقلية أو منطقة أو قبيلة أو طائفة. مثلا يوجد تيار واضح في الحجاز يلوح بهوية حجازية ذات ثقافة وتراث محلي يصوّر وكأنه طمس من قبل السلطة المركزية المهيمنة. حتى هذه اللحظة يظل هذا التيار يدور في فلك الثقافة ولكن ربما يتطور في المستقبل ليدخل حيز السياسة ويطالب بتمثيل ومشاركة على اساس ثقافة مناطقية. كذلك المجموعات الشيعية والاسماعيلية فهي ايضا تصيغ مطالبتها بالعدالة والمشاركة على أساس كونها مجموعة لها خصوصيتها الطائفية والتي يعتقد أنها طمستها أو تجاوزتها الدولة الحديثة. اما القبائل فهي أيضا تحاول أن تعيد صياغة ذاتها من خلال الاحتفال بتاريخها وولائها للنظام كمجموعة متميزة عن غيرها على الخارطة الجيوسياسة السعودية.

أما فكرياً فهناك أيضاً حالة تشظي واضحة بين الحداثيين والاسلاميين والسلفيين وغيرهم من أصحاب التيارات الواضحة ولكنها غير رسمية. إستطاع الاصلاحيون الدستوريون أن يتجاوزوا بعض هذا التشظي ولو لفترة قصيرة عندما أجمعوا على ضرورة الاصلاح. يبدو أن النظام فسّر المطالبة بالاصلاح الدستوري على طريقته الخاصة. هو اليوم يحاول أن يختزل الاصلاح الشامل بمفهومين اولهما الاصلاح الديني وثانيهما الاصلاح الاجتماعي الفوقي.

ويبدو أن النظام يستجيب بإيجابية للمطالب الجماعية للمجموعات الطائفية او القبلية اذا أظهرت هذه المجموعات الولاء المطلق ولكنه يظل يتغنى بمقولات الوطنية الشاملة في نفس الوقت إذ أنه لا يستسيغ الظهور بمظهر المستجيب لمطالب المجموعات لانه سيفتح على نفسه أبوابا لا يستطيع اغلاقها بسهولة بعد ذلك.

أدى هذا الى بعض التناقضات وهي كثيرة. مثلا في عام ١٩٩٣ جرت صفقة بين النظام والمعارضة الشيعية من اجل احتواء النشاط السياسي الخارجي لهذه المجموعة فسمح للشيعة ببعض الحريات الدينية ولكن في نفس الوقت لم تتوقف الحملات المضادة ضد هذه المجموعة. وفي تعامله مع القبائل نجد النظام يشجع التغني بثقافة القبيلة وتراثها ولكنه في نفس الوقت يطمس أي ظهور سياسي لاعضائها وفي نفس الوقت يروج هوية أكثر شمولية كالانتماء العربي والاسلامي. ومن ثم يعاقب من تضامن مع المشروع الاسلامي الأممي. وبينما يكافئ النظام الاسلامي الموالين نراه في نفس الوقت يغازل الليبراليين ويفسح لهم المجال في انتقاد من يعارض مشروعهم.

يدعي النظام اليوم مساندة مشاريع تجديد الخطاب الديني ولكنه يعاقب بشدة من يتجرأ على التنظير لموضوع الشورى من منطلق اسلامي بحت كما حصل لأحد الاصلاحيين الاسلاميين. ومن جهة يمارس النظام الرقابة على المطبوعات ويمنع الكتب المصنَّفة أنها مخلَّة بالآداب ولكنه في نفس الوقت يحتضن ويحمي من يكتب هذه الكتب. هذه التناقضات في الممارسة السياسية جعلت الدولة السعودية تصل الى مرحلة حرجة جاء الاصلاحيون لينظروا من أجل أن يخرجوها من مأزقها الحالي. كان تنظيرهم محاولة لانتشال هذه التركيبة من حالة الازدواجية والتناقض إذ أنهم تصوروا دولة مؤسسات وقانون ومشاركة وفصل للسلطات.

اظهرت السلطة انها مستعدة لتبني سياسة اجتماعية تطلق بعض الحريات والتي تمثلت بظهور المرأة الى الحيز العام بعد غياب طويل وغيره من الاصلاحات السطحية كالحوارات المتلفزة والتي تخرج بتوصيات غير ملزمة لاحد وانتخابات فرعية لمجالس بلدية محدودة الصلاحيات بينما تبقى السلطة بعيدة عن أي خطوة تؤدي الى المشاركة الفعلية عن طريق مجلس أمة منتخب أو فصل حقيقي للسلطات.

الاصلاحات الشكلية والتي تحظى بتغطية إعلامية مكثفة من باب الدعاية والترويج لها على أساس كونها نقلة حقيقية الى عصر الانفتاح تبقى قاصرة على محاولات مشتتة تأتي من باب ردة الفعل وليس على أساس مخطط شامل. تحصل هذه الاصلاحات في فترة تتميز بطفرة نفطية واضحة. يظل النظام معلقا آماله على أن يكون الدولار خير بديل للاصلاح السياسي والذي طالب به الاصلاحيون الدستوريون. وقد أثبت النظام السعودي في تعامله مع قضية الاصلاح السياسي ان الولاء للنظام مقتصر على هذا الدولار وتوسيع رقعة انتشاره بين أيدي أطياف مختلفة ومتنوعة في المجتمع. ويبدو لي في الوقت الحاضر ان هذا الدولار هو خير أفيون للشعوب.

صحيفة القدس العربي - ٣/ ٤/ ٢٠٠٦

الرمز والترميز في الذاكرة الإسلامية

محمد بن علي المحمود

لم يكن الإسلام استثناء من الأديان السابقة عليه، في احتفائه بالرموز الدالة، سواء كانت تلك الرموز صناعة إسلامية خالصة، أو كانت تتعانق مع المشترك الديني في ثقافة الآخر الدينية. احتفاء الإسلام بالترميز لا يخرج به عن الخصوصية الإسلامية؛ بقدر ما يدعم بعده الديني في الطبيعة البشرية التي اعتادت على التعاطي مع الظاهرة الدينية بأكبر قدر من الترميز الذي يضمن بقاء الذاكرة حية، كضمان لاستمرار الاستقرار النفسي للجماعة.

الترميز ذو ارتباط بالحالة الدينية في مبادئها العامة، باعتبارها مبادئ متعالية من ناحية، ومن ناحية أخرى، فهي مبادئ ذات طابع ثبوتي، تتخذ من القدامة قدسية خاصة، بحيث تستولي على وعي - ولا وعي - الفرد والجماعة. الدين، بوصفه الثابت الروحي الذي يحد من ضراوة المتغير الواقعي، ويحفظ التوازن بين عالمين متضادين من حيث الثبات والتحول، يستعين بالرمز والترميز؛ ليعطيه هذا الخلود الضروري لعالم الروح.

كون الدين والتدين حالة سابقة للإسلام، يعني ان الإسلام أتى مرتبطا بما سبق من تصور راسخ للدين - كحالة -. كما انه - من جهة أخرى - مرتبط بالواقع المتعين اشد الارتباط. وهذا ما تصوره اسباب النزول، وعلل الاحكام. هذا الواقع الذي كان - على صورة ما - سببا للنزول، هو واقع محكوم بشرطي: الزمان والمكان. ولقد كان الزمان والمكان مجالين واسعين لتصورات دينية سابقة، تصورات رامزة، تملأ فراغات الروح والواقع. اي ان هناك حالة تدين سابقة، يأتي الإسلام متقاطعا معها، بكل ما فيها من شمولية وثبات.

من حيث المبدأ، لا بد من دين، والدين لا بد له من رموز. والبداية لا تكون الا من خلال الاتفاق على هذه الأرضية (المسلمة) التي لا بد من الاشتغال عليها، والعمل من خلالها، ولن يكون إلغاؤها إلا إلغاء للدين الجديد. ولهذا، لم يكن هناك إلغاء عام لفعل الترميز، بل ولا لجميع الرموز السابقة، بل جرى تحويرها أو تعديلها؛ لتخدم المعنى الجديد.

هكذا كان التعاطي من قبل الإسلام أكبر الرموز الدينية عند العرب. الرموز الشخصانية، والرموز المكانية. ولقد كان (الحج) عالما مليئا بهذه الأنواع من الرموز. الخليل (إبراهيم) و(إسماعيل) - عليهما السلام، كانا حلقة الوصل بين الإسلام والماضي العربي. هذه الرموز الشخصانية التي كانت حاضرة بقوة، فضلا عن غيرها من الرموز الشخصانية التي كانت حاضرة في وعي أتباع الديانتين: اليهودية والنصرانية.

المكانيات: (مكة/أم القرى)، و(الكعبة)، و(الحجر الأسود)، و(مقام إبراهيم)، و(عرفات)، و(منى)، و(مزدلفة)، (الجمرات). هي شعائر الله التي تتطلب التعظيم، أي منحها أكبر قدر من الترميز. أيضاً (المسجد الأقصى) و(الطور).. إلخ عند غير العرب كانت ولا تزال حاضرة كرموز مكانية. لكن الإسلام تعانق معها كرموز توحيدية، بصرف النظر عن معناها الرمزي عند الآخر. كل هذه رموز مكانية كانت موجودة من قبل في الذاكرة الجمعية، وعزز الإسلام من رمزيتها؛ لأن الترميز من وظائف الديني التي تمنحه الخلود في ذاكرة الأجيال.

الإسلام يحتفي بالمكان كرمز دال؛ لأن رمزية المكان ذات طابع ثابت غير منقطع، عكس الزمان الذي لا يرمز إلا بتقطيعه، وتصنيفه إلى فاضل ومفضول، وإن كان الإسلام يعدل - أحيانا - من اتجاه الدلالة، إلى درجة التضاد بين الدلالة الرمزية الأولى، والدلالة التي يخلقها الإسلام من جديد؛ لتتسق مع كلياته العامة التي يسعى لتثبيتها عبر وسائل كثيرة، ليس الترميز بأقلها. يظهر ذلك في: «أحد جبل يحبنا ونحبه».

الحال في الزمانيات: حدث هذا لأشهر الحج، والأشهر الحرم عند العرب، وعاشوراء عند اليهود، وكموعد: عودة المسيح. وأضاف الإسلام زمانياته الخاصة الخالصة به، كرمضان، وليلة القدر، والعشر الأخيرة من رمضان، والأولى من ذي الحجة، ويوم الجمعة. وبعض هذه الزمانيات، ترتبط بذكريات سعيدة: انتصارات، نزول القرآن. فهو احتفاء تعبدي بزمن خاص، تحقق فيه للإسلام والمسلمين أكبر قدر من المكتسبات المعنوية أو المادية.

الأفعال - أيضاً - تدخل في فاعلية الترميز، كما في أفعال الحج خاصة. فعل (النحر) كممارسة تعبدية موغلة في رمزيتها أقرها الإسلام، بل ودعمها، بعد أن قام بتحويل اتجاهها. قصص الأنبياء (أفعالهم وأفعال الجماعة المؤمنة) كانت محل احتفاء الترميز الإسلامي، ولم يكن الهدف من إيرادها تشريعيا، بقدر ما كان ترميزيا «نثبت به فؤادك» فالبعد الوجداني الذي هو الهدف الأسمى للترميز كان غاية القصص القرآني.

من خلال كل ما سبق، يمكن أن نؤكد أن الإسلام مع فعل الترميز من حيث المبدأ، وليس ضده، كما يتوهم بعضنا، أو كما يريد أن يتوهم. يرفض بعضنا عيد الأم، أو اليوم الوطني، أو المولد النبوي، أو ذكرى انتصار ما؛ مرتبط بزمان أو مكان. كل هذا الرفض يتم تحت دعاوى منع الابتداع.

إذا كان الاحتفال بهذه الذكريات الرامزة، يراد بها بعدا تعبديا؛ فأنا مع السلفي في موقفه الرافض لها. لكن، ماذا لو كان المراد منها وجدانيا عاما، يعزز البعد الديني أو المدني، هل يصبح الرفض هو الموقف المناسب. ماذا لو كان احتفالي بعيد الأم - مثلا - لا أقصد به منحى تعبديا، وإنما أريد به تعزيز العاطفة نحو الأم، أو تعزيز العاطفة نحو الوطن، أو نحو النبي أو نحو فن من الفنون - كيوم الشعر.. إلخ، هل يكون محرما في هذه الحال؟

إذن، هذا الترميز، وإن قصد به في النية العامة (وجه الله) أي غاية نهائية تعبدية، إلا أنه لا يدخل في الديني الخالص الذي يجب أن يبقى توقيفيا على ما شرع الله. وعدم الوضوح في هذا الفصل، يجعل الحكم بالابتداع سهلا، ويمكن أن يطال جميع مظاهر الحياة بلا استثناء؛ لأنها في المقصد النهائي عند المؤمن تعبدية، حتى وإن كانت مدنية خالصة. لهذا، فإن الهياج السلفي الذي يظهر عند كل مناسبة من المناسبات العامة ذات الطابع الاحتفالي، يجب أن يقف عند حدود الديني الخالص، ولا يمنع الممارسات المدنية - وإن تمظهرت دينيا، فضلا عن الاحتفاليات المدنية الأسرية والوطنية - بدعوى الابتداع المحرم، وهي الدعوى التي لا تزال تخنق الحراك الاجتماعي والوجداني لدينا.

الرياض/ ١٣-٤-٢٠٠٦

النويري

هناك عدد من العلماء في الحجاز ينتسبون الى (النويري) وهم من عوائل شتى، ومن بينهم:

(١) ابو بكر بن أبي الفضل محمد بن عبدالرحمن بن علي الهاشمي النويري، المكي، المالكي (٨٣٦-٨٧٠هـ). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وحضر عند أبي الفتح المراغي، ثم سمع عليه وعلى زينب ابنة اليافعي وأجاز له جماعة منهم ابو جعفر بن العجمي. واشتغل بالفقه والعربية، ولازم ابن يونس المغربي، وقبله يعقوب المغربي. قال السخاوي: ولعله اقرأ فيها، بل أنه شرح الأجرومية أو بعضها. وناب في الإمامة بمقام المالكية عن والده. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(١).

(٢) ابو بكر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز النويري، المكي الشافعي (٨٤٦-٨٩٣هـ). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم وصلى في المسجد الحرام، وأخذ عن والده، ولازم ابن عطيف في الفقه، وابن يونس وعبد القادر المالكي في النحو، وسمع من المراغي وغيره. ودخل القاهرة غير مرة فأخذ فيها على الجوجري في الأصول وغيره وعن الأبناسي، وأخذ عن السخاوي في المصطلح والهداية، وسمع دروساً في الألفية، ولازمه كثيراً بمكة وغيرها، وأذن له العبادي وغيره، واقرأ يسيراً. وولي خطابة المسجد الحرام شريكاً لعمه ابي القاسم، ثم لإبنه محب الدين، وحُمدت خطابته. دخل اليمن وغيرها. وأجاز له ابن حجر العسقلاني وابن الفرات وأبو جعفر بن الضيا والرشيدي والعيني وسارة ابنة ابن جماعة والزين الأميوطي. وسافر من مكة اول سنة ٨٨٧هـ فدخل مندوه وكنباية وغيرها، ووصل الى عدن من كنباية من الهند في أثناء سنة ٨٩٢هـ. توفي رحمه الله فيها. وفي رحلاته درّس وأقرأ وافتى رحمه الله(٢).

(٣) أبو بكر بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري (٨٤٢-٨٧٤هـ). ويُعرف بأبي اليمن، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وصلى به التراويح بمقام المالكية، وحفظ مجموعة من المتون في الحديث والفقه وغيرهما، وعرض وسمع على المراغي وأجاز له الزين الزركشي وابن ناظر الصاحبة وابن الفرات وغيرهم. دخل القاهرة ودمشق وسمع في سنة ٨٦١هـ على العلم البلقيني، ثم رجع الى مكة المكرمة، ثم عاد الى القاهرة. توفي رحمه الله بدمشق مطعوناً (٣).

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري المكي الشافعي (٨٠٨-٨٦٦هـ). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، فسمع بها من الزين أبي بكر المراغي، ومن ابن الجزري الشمائل وغيرها، ومن ابن سلامة والتقي الفاسي وغيرهما. أجازت له عائشة ابنة ابن عبد الهادي وعبدالقادر الارموي، وابن طولوبغا وآخرون. وحدّث وسمع منه بعض الطلبة وأجاز في بعض الاستدعاءات، وولي حسبة مكة المكرمة وقتاً. لازم السخاوي في مجاورته بمكة كثيراً(٤).

(٥) أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري، ابو بكر، شرف الدين ابي القاسم (ـ ٩١٦هـ). خطيب الخطباء بالمسجد الحرام، المكي الشافعي. أخذ عن أبي الفتح المراغي، وسمع ثلاثيات البخاري على جدته لأمه أم الفضل خديجة، وتدعى سعادة بنت عبدالرحمن بن محمد بن فهد المكي، وعلى برهان الدين ابراهيم بن علي الزمزمي، وعلى اخيه المحب الزمزمي. توفي بمكة المكرمة(٥).

(٦) عبدالعزيز بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد النويري، المكي الشافعي (٨٤٨هـ - ...). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في الحديث والنحو والفقه وغيرها وعرضها. وأجاز له ابن حجر العسقلاني والعيني وابن الديري ومجير الدين ابن الذهبي والصالحي والرشيدي وابن الفرات والصفدي وسارة ابنة ابن جماعة وجماعة كثيرون. قدم القاهرة غير مرة وسمع بها من الشاوي والزكي المناوي وآخرين، ولازم السخاوي بمكة المكرمة وبالقاهرة في ألفية الحديث وشرحها وفي غير ذلك. ورحل الى الشام مرة بعد أخرى وأخذ فيها عن الزين خطاب وعن الجوجري في القاهرة. وفي مكة عن ابن عطيف والعلمي وعبد المحسن، واخذ فيها أيضاً عن غير واحد من الوافدين اليها، وأقام في المدينة المنورة أشهراً (٦).

(٧) علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري، المكي المالكي (٨١٥-٨٢٢هـ). ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في الحديث والقراءات والفقه المالكي واصول الفقه والنحو، وعرضها على التقي الفاسي وعلى الجمال الكازروني وأبي الحسن سبط الزبير ويوسف بن محمد الزرندي وابن سلامة وابن المرشدي والجمال الشيبي وغيرهم.

وتلا لأبي عمرو على الشيخ محمد الكيلاني والشوائطي، وتفقه بأبي الطاهر المراكشي والبساطي، وأذن له في الإفتاء والتدريس، ولازم السخاوي مدة وقرأ عليه جملة من الفقه قراءة تحقيق وتدقيق وإيراد أسئلة. وأخذ العربية عن الجلال المرشدي والشمس بن حامد الصعدي والقاياتي والشمني، وعنه أخذ في اصول الفقه وقرأ عليه شرح نخبه الفكر لوالده، وأذن له في الإقراء، وقرأ شرح الشواهد في النحو للعيني على العيني (المصنف) قراءة بحث وتحقيق وفحص عن كل ما فيه من التدقيق بحيث صار ممن يؤخذ عنه هذا الكتاب وممن يتصدى الى إقرائه بلا ارتياب، ثم اذن له ذلك. وأخذ أصول الفقه عن أبي القاسم النويري وعن إمام الكاملية والتقي الحصني، والمعاني والبيان عن النويري، وقرأ الحديث رواية ودراية عن ابن حجر العسقلاني، وسمع عليه جملة وأذن له في الإقراء، وبالغ العسقلاني في وصفه حتى كتب له (مفخر أهل عصره في مصره) وكان كثير الميل إليه، ونقل عنه في حوادث تاريخه. قرأ على أبي الفتح المراغي الكثير وعلى والده، والمقريزي والزين الزركشي والمحب بن نصر الله الحنبلي وغيرهم. ناب في القضاء عن ابن عبد الله النويري سنة ٨٤٠هـ، ثم عن والده سنة ٨٤٣هـ، وولي تدريس الحديث بالمنصورية بمكة المكرمة، وباشر الإمام بمقام المالكية نيابة مدة عشر سنين، ثم ترك ثم عاد وتصدى للإقراء. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٧).

---

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع، جـ١١، ص ٨١.

(٢) المصدر السابق، جـ١١، ص ٨٧.

(٣) المصدر السابق، جـ١١، ص ٩٠. وكذلك، ابن فهد، عمر، اتحاف الورى، جـ ٤، ص ٩٠.

(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص ٨٤. وكذلك ابن فهد، مصدر سابق، جـ٤، ص ٤٣٤.

(٥) ابن العماد، عبدالحي. شذرات الذهب، جـ ٨، ص ٧٤. وكذلك الغزي، نجم الدين. الكواكب السائرة، جـ١، ص ١٢٦.

(٦) السخاوي، مصدر سابق، جـ٤، ص ٢١٣.

(٧) المصدر السابق، جـ ٦، ص ١٢-١٣. وكذلك ابن العماد، مصدر سابق، جـ ٧، ص ٣٣٥.

مؤشر (أبو متعب)!

معظم هوامير السوق من (نجد).
فمن يمتلك السلطة يمتلك المال.
اقرأوا من يمتلك الشركات في موقع تداول ومن يديرها، ان لم تصدقوا ما نقول!
أكثر من ٨٠٪ هم من النجديين او من ذوي الأصول النجدية!
تخيلوا عائلة الراشد (النجدية/ من عنيزة على الأرجح) وحدها تدير بضع محافظ بنحو ٧٠ مليار ريال!
وأما هوامير العائلة المالكة فهم من ضمن ملاك الشركات المتداولة وموجودة أسماء بعضهم، وأما بعض شركاتهم، فليست مدرجة في السوق.
خذوا مثالاً، الوليد بن طلال يمتلك حصة ضخمة في البنك السعودي الأميركي، وفي المواشي، وغيرها، هذا غير شركته القابضة التي يدير من خلالها استثمارات امراء العائلة المالكة.
لفه الطمع الزائد، وحول بعض استثماراته الخارجية الى الداخل، الى السوق السعودية المختنقة، وله ـ كما نشر في أحد المواقع بالصورة ـ أكثر من ثمانين مليار ريال في واحدة من محافظه، وهي في البنك السعودي الفرنسي!
الأفراد الذين يخالفون أنظمة السوق وتقوم بالمضاربات، أكثرهم من هوامير نجد، ومن عوائل نجد المشهورة بتحالفها المالي والسياسي والديني مع العائلة المالكة.. وبعضهم أمراء من آل سعود.
لهذا لا يمكن الكشف عن أسمائهم!
ولهذا يسمح لهم بالتداول وبيع ما عندهم من أسهم حتى مع إحالتهم الى لجنة تقول هيئة السوق أنها تحاسبهم!
الملايين من النجديين الضعاف ومن بقية المواطنين في المناطق الأخرى، تدفع ثمن جشع هوامير نجد قبل غيرهم.. مع ما في ذلك من أبعاد سياسية كارثية على نظام الحكم والولاء له حتى بين قاعدته!
(تكفى يا بو متعب.. لا يطيح السوق!) قالها أحدهم، وكأن الأمراء يهتمون كثيراً بصغار المستثمرين!
يمكن أن يكون الملك مهتماً، لكن جشع التيار السديري، السرطاني، يقيّد الملك، ويمنعه من الحراك!
هكذا يقولون! والعلم عند الله!
هناك اشارات تفيد بأن عبدالله ـ الملك ـ أقرب الى نبض الشارع بمن فيه من الفقراء بالقياس الى الجناح السديري الجشع. ولكن هذا لا يعفي الملك من المسؤولية!

فسوق الأسهم تنتظر يوماً أسوداً، بل أياماً سوداء عديدة، بدأت ولا نعلم المدى الذي ستصل اليه، إلا حين تصل هذه الأوراق الى القراء!
كل يوم يخسر المؤشر السعودي مئات النقاط، فدرجة حرارة المؤشر تتخطى الألف نقطة خسارة يومياً، او ما يقاربه. مع أن هيئة سوق المال لا تجد لها من حل إلا تخفيف درجة الحرارة بالكمادات (شراء أسهم من سابك والإتصالات والراجحي).. وما هي إلا دقائق، وأحياناً ثوانٍ حتى تعود درجة حرارة المؤشر للتخطى الألف نقطة.
والحل بالنسبة لهيئة السوق، الحل النهائي، هو حل العاجز، ويعتمد على القيام بشراء أسهم من تلك الشركات (خاصة سابك) في آخر ٣٠ ثانية قبل اغلاق السوق، واذا بالمؤشر يقلص خسائره أكثر من أربعمائة نقطة كما حدث في تداولات يوم ١٠ ابريل! (من خسارة أكثر من ١٤٠٠ نقطة الى خسارة ٩٦٨ نقطة) وكأن هذا هو الحل، في حين أن كل الشركات الأخرى قاربت خسارتها الحدود القصوى (١٠٪) في جلسة واحدة.
ليست المشكلة فقط في المتداولين من عامة الناس الذين يأخذون بالإشاعة وتستهويهم المغامرة، بل المشكلة في أنظمة الهيئة، وفوق هذا في (الهوامير) التي أكثرها نجدية من جماعة (عظام الرقبة) الذين يعيثون في السوق كالمافيات دونما حسيب او رقيب!
اذا لم تقيد أيدي وأرجل الأمراء ومن يشتغل بأسمائهم من العبث في السوق، فسيصبح نصف الشعب (ثمانية ملايين) مواطن فقراء او على حافة الفقر.
ولن يكون الفقر وحده هو النتيجة السلبية من سوق الأسهم السعودي، بل الأمراض النفسية وموت الفجأة، والمشاكل الإجتماعية التي بدأت الصحافة والمواطنون يتحدثون عنها.
وزيادة على هذا هناك التبعات السياسية لسوق الأسهم (سلباً أو إيجاباً).. فإن كان ايجاباً، سلم نظام آل سعود، وتمتعوا بالإستبداد أكثر، وطال ليل الفساد أيضاً. وإن كان الأمر سلبياً، فسيطالبهم الناس بالإصلاح السياسي والإقتصادي والإقتصاص من المجرمين، وقد يواجههم الناس بالسلاح وليس بالتذمر فقط!
الليالي السوداء طويلة، والسوق، كما ليل أبو متعب، أسود داكن!

الحجاز - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhejazi.net/ Go

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفرُ الوجود ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات



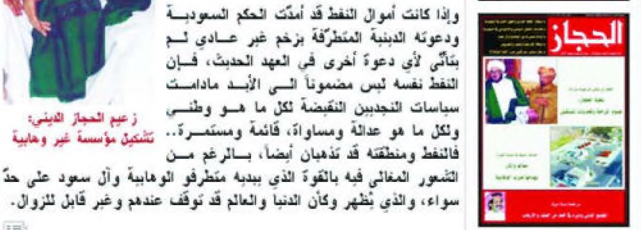
عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.

الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

نخبة الحجاز: هموم المرحلة وتحديات المستقبل

من نافلة القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولة تتمتع بكل أجهزة الدولة الحديثة هو الأكثر إخافة لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينية، وتبقى دعوتهم المتطرفة في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسة أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.



وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعودية ودعوته الدينية المتطرّفة بزخم غير عادي لم يتأتّى لأي دعوة أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضة لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالة ومساواة، قائمة ومستمرة.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوة الذي يبديه متطرفو الوهابية وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.

زعيم الحجاز الديني: تشكيل مؤسسة غير وهابية

(الدين والملك توأمان)

التحالف المصيري بين الوهابية والعائلة المالكة

كان العامل الديني القوة التوحيدية الفريدة الذي نجح في تشكيل وحدة اجتماعية وسياسية منسجمة في منطقة نجد. فقبل ظهور الدعوة الوهابية

القبّة الخضراء قضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهة الدينية او المناطقية، لكنه لا يلغي حقيقة أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكة ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامة، وكانت الحكومة تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

معالم وآثار يهدمها الوهابيون

المساجد السبعة.. قيمة لها تاريخ



مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينة المساجد السبعة، وهي مجموعة مساجد صغيرة عددها الحقيقي ستة وليس سبعة، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلة فيصبح عددها سبعة.

وهناك روايات حديثية لابن شبة تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدة مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد

My Computer



لوحة للفنانة صفية بن زقر